وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع الحضري

مقابلة

دراسة حول المسكن الكولونيالي في الجزائر بين التغيير و التكيف

مذكرة نخرج لنيل شهادة الماستر تخصص علم الاجتماع الحضري

إعداد الطالبة:
دحمان خديجة

تحت اشراف
بكاي لخضر

السنة الجامعية: 2012 – 2013

البيانات الشخصية:

-العينة:10 أشخاص

-الجنس:6 ذكور-4 إناث

-السن:من 40 الى75

-الأصل الجغرافي:ريفي -حضري

-المستوى التعليمي:أمي -ابتدائي-متوسط

-عدد أفراد الأسرة:من 3 إلى 10

وضعية السكن:ملك-إيجار

-هل أحدثتم تغييرا على المسكن

-فيما تمثل هذا التغيير

-كيف هي علاقتك بجيرانك

-هل أنت مرتاح بالسكن في هذا الحي

-هل تجد فرق بين المسكن العادي و الكولونيالي

كان لدخول الاستعمار الفرنسي للبلدان العربية و المغربية أثرا كبيرا على الحياة الاجتماعية ,الاقتصادية ,السياسية خاصة الجانب العمراني و هذا لم يكن بنفس الشكل و الحدة,بل كان متباينا من بلد لأخر حسب أشكال التواجد الأوروبي فيها (حماية,انتداب,استعمار)وهذا كان عاملا مهما في اختلاف درجة التأثير الكولونيالية على المناطق الحضرية في كل بلد , فيجمع المشتغلون في هذا الحقل إن الدخول الاستعماري كان بداية دخول المدينة الغربية بكل ما تحتويه من أشكال عمرانية وبانتهاء هذا الأخير شهدت الجزائر هجرة داخلية تمثلت في انتقال الوافدين من الأرياف إلى المدن(البنايات الشاغرة)لتظهر بذلك صور اكتساب النمط المعيشي المدني ,باعتبار إن القادمين الجدد هم من يعطي للمدينة الصورة التي تتوافق مع قيمهم وذهنيا تهم عن طريق ممارسات تعكس هذه الأخيرة

ونحن في داستنا نحاول مقاربة نموذج من العمارة الكولونيالية المدنية في إحدى مدن الساحلية للتعرف والتعريف بالفضاء ألمجالي للساكن لذا ارتقينا مع الأستاذ المشرف تقسيم هذا العمل على النحو التالي:

أولا:الاقتراب النظري و المنهجي للدراسة تناولنا فيه إشكالية الدراسة و الفرضيات إضافة قراءة للدراسات سابقة حول الموضوع حيث قمنا بجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من مصادر و مراجع,أبحاث و دوريات وهذا لاستخراج أفكار عامة يمكن من خلالها الانطلاق في الموضوع والبدء في المرحلة الثانية وقد ضم الجانب النظري:

الفصل الأول:العمارة الكولونيالية في الجزائر الذي تضمن في المبحث الأول العمارة الكولونيالية في الجزائر حاولنا من خلاله إعطاء نظرة عن العمارة الكولونيالية بصفة عامة إضافة إلى مراحل تشكلها في الجزائر، أما المبحث الثاني:خصصناه للعمارة الكولونيالية في وهران بصفة خاصة والتركيز على هذه

الأخيرة بعد الاستقلال فهو الجزء المهم في دراستنا إضافة إلى التطرق إلى الجانب القانوني فيما يخص تغيير هذه المساكن.

والفصل الثاني فهو الدراسة الميدانية فكان من أصعب مراحل البحث و أهمها إذ هو المرأة العاكسة لأهداف البحث اعتمدنا فيه على مبحثين الأول يخص التعريف بمجتمع البحث فيما يخص التعريف بحي سيدي البشير وموقعه من المدينة إضافة إلى الأصل الجغرافي للساكن وتاريخ المجيء إلى الحي أما المبحث الثاني فهو قراءة كيفية للمقابلات من اجل استخلاص النتائج كما استعنا في بحثنا بمجموعة ملاحق تمثلت في الصور والمخططات الخاصة بحي سيدي البشير,وأما الخاتمة فقد صغناها كنتيجة عامة لدراستنا

مقــدمة عــامة

الفصـــــل التمهـــــــيدي

الإقتراب النظري والمنهجي العام

المبـحث الأول: الإقتراب النـظـري

المبحث الثاني: الإقتراب المنهـجي

الفصـــــــــل الأول

العمارة الكولونيالية

المبحث الأول: العمارة الكولونيالية في الجزائر

المبحث الثاني: العمارة الكولونيالية في وهران

الفصل الثاني

الدراســـــــة الميدانـــــية

المبحث الأول:الدراسة المنوغرافية لحي سيدي البشير

المبحث الثاني:القراءة الكيفية للمقابلات

خـــــــاتمـــــــــة

المـــــــــــلاحـــــــــق

المبحث الأول: الإقتراب النظري العام:

1-أسباب اختيار الموضوع :

إنّ اختيارنا لموضوع المسكن الكولونيالي في الجزائر بين التكيف والتغيير كموضوع لمذكرة الماستر هو نتيجة للأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع من الناحية العلمية والقانونية والتطبيقية المتعلقة بالإشكالية الكبرى في حقل العلوم الإجتماعية الجزائرية وهي مسألة الإنتقال من المجتمع القبلي إلى المجتمع المدني ، يعني بقدر ماهي مرتبطة ماديا بالموروث الكولونيالي في الجزائر ، بقدر ما هي أقرب تنظيريا من أزمة المدينة الأوربية ضمن المجتمع الرأسمالي . إد أن إشكالية النمط العمراني الكولونيالي قبل وبعد الفترة الإستعمارية لا يزال مطروحا على الصعيد الوطني كأزمة تمس الأنساق الإجتماعية والهوياتية للساكن الجزائري ضمن أطرها الأنتربولوجية والعلوم الإجتماعية، وكمشروع تسعى الهيئات الوصية بالدولة إلى محاولة الحفاظ عليه كمعالم تاريخية أو كمباني على شكل إتجاهات إقتباسية بهدف تكييفه معها-، و بالتالي فمسألة تملك (L'appropriation) الفضاء الكولونيالي عامة تطرح نفسها على الصعيد العقاري، الإجتماعي والإقتصادي والثقافي للساكن الجزائري الحالي .

يندرج موضوع دراستنا في إطار تخصصنا بدراسة حالة (Etude de cas) من مجموع الفضاءات الكولونيالية بالدولة الجزائرية و الممثلة في مدينة وهران (حي سيدي البشير) ، فإذا أردنا أن نتكلم عن العمارة في الجزائر فإننا في إطار مجال علمي واسع يحتاج إلى عمل فرقة بحث تضم مختلف التخصصات العلمية هدا من الناحية الآكاديمية، أما عمليا فنحن ضمن أزمة كبرى كون العمارة منتوج ثقافي واجتماعي أكثر منه منتوج مادي، وظيفي ، وإننا باقتحامنا هذا الموضوع نفتح النقاش حول مفاهيم ذات أهمية قصوى في حقل العلوم الإجتماعية عامة ، وتطور علم الإجتماع الحضري الجزائري بخاصة،والتي تعرف بالدورة الإنتاجية للمعمار " المعماري، المجتمع، المعمار" والمقصود به في موضوعنا هدا مثل القيم الإجتماعية بمفهوم روبرت فونتوري (Robert venturi) ، أو الأجزاء المشتركة (Partie Communes)

كمـــداخل العمـــارات، المصـــاعد، مغاســـل الثياب....إلخ ، وما تطرحه من إشكاليات الملكية المشتركة والملكية الفردية . يعني هدا طرح مسألة الإنسجام.

إننا موجودون أمام حقائق ميدانية مبنية على أساس ان حي سيدي البشير – كغيره من الأحياء الكولونيالية الجزائرية عبارة عن عمارات سكنية تمتد طولا وارتفاعا ، وبالتالي هده العمارات غير قابلة للتجزئة والتقسيم، الأمر الذي يعقد عملية ترميمها وإعادة تهيئتها، فإرث الكولونيالية تكون من فائض الخرسانة والثقافة الحضرية – الإقتصادية بخاصة-. شكل قطيعة مع المنطق الإجتماعي الداخلي للساكن الجزائري ما يحيلنا إلى إشكاليات كبرى تطرح من أعلى هرم في السلطة إلى الممارسة اليومية للمواطن الجزائري في هدا الفضاء

2-أهداف الدراسة :

على المستوى النظري، يأتي عملنا هذا بعد دراسة مجموعة أطروحات متكاملة تشترك في أنها دراسات ميدانية، تختلف من حيث زاوية التخصص بين ماهو دراسة سوسيو- حضرية، و ماهو خاص بالجغرافيا الحضرية وأيضا الهندسة الحضرية– سنوردها لاحقا – وهي ضمن المجلة الجزائرية في الأنتربولوجيا والعلوم الإجتماعية " إنسانيات " الصادرة عن مركز البحث في الأنتربولوجيا الإجتماعية والثقافية (CRASC)، لأصحابها الآتية أسماؤهم : (عائشة التايب، عابد بن جليد، دراسة بديعة بلعابد- صحراوي، دراسة كرباص موشيخ و بن دادوش آسيا دراسة عبد القادر لقجع.) تعد بمثابة مقاربات نعتمدها، مع الإشارة هنا إلى أن دراسة عبد القادر لقجع مرتبطة طرديا بموضوع دراستنا. وبالتالي فإن الهدف من عملنا هو الجمع بين ماهو نظري وتنظيري- وإن تعددت إشكالياتها فإنها تصب من قريب أو من بعيد في صلب الموضوع قيد الدراسة – مسألة التملك السكني – و ماهو ميداني، والمقصود إمكانية تعميم أو إضافة ما توصل إليه الدكتور لقجع وفرقته.

إن الجمع بين الدراسات من شأنه أن يشكل القاعدة النظرية والمنهجية لعملنا، هذا من جهة، أما من جهة ثانية فإن دراستنا الميدانية تظهر في إمكانية تعميم النتائج التي توصلت إليها فرقة البحث التي كان على رأسها الدكتور

لقجع. وإن كانت إشكاليتنا قاعدية في البحث وعينتنا قليلة من حيث مجالاتها الانتمائية والطبقية اللتان تحددان طبيعة التغيير العمراني والتكيف الحضري. وبالتالي التعرف على مدى الفروق الجوهرية في مسألة التملك حسب متغيرات الجنس، السن، المستوى المادي...). لذا فطرح الأسئلة وإعادة صياغتها هنا، وتبعا لفرضية الحوار، سيقدم لنا مفهوم أشكال التملك ولو سطحيا، وكل هذا له دلالته أيضا على صعيد البحث والتفكير والمنهج.

على المستوى الأمبريقي، محاولة مقاربة العلاقات التي يقيمها الفاعلون المختلفون مع فضاءاتهم الحياتية ودلك على مستويات مختلفة (العام والخاص) ، من حيث الإستثمارات المادية ، الوجدانية و العلائقية والفاعلية التي يصبح بواسطتها الوصول إلى ممارسة سكنية وأنماط اجتماعيتهم، وبما أن الدراسة ميدانية فهي تقدم إجابات في الوقت الذي تفضي فيه إلى تساؤلات جديدة حول الكيفيات السكنية الآن، أو مدلول الممارسة السكنية وتشكيل الفضاء والتواصل مع ساكني العمارات الجماعية والفضاء العام، وبمعنى آخر معنى التسكن الهوياتي (l'habiter identité) الكولونيالي بهوية جزائرية.

تهدف هذه الدراسة أيضا إلى محاولة فهم تحويل المبنى الكولونيالي و تفهم احتلال المنازل الفردية ، صورة المعمار الخارجي، والأشكال الداخلية للتنظيم، ، وبالتالي محاولة إبراز العقلانية العصرية والمنطق الهوياتي للساكن الجزائري. إنها مسألة الفضاءات الكولونيالية في طور التصور والممارسة الجزائرية من خلال إعادة امتلاك الناس للأجزاء العمرانية وربما للبناية عامة عن مقصدها، أو كيفية تكيفهم مع الفضاء البيتي.

والجدير بالذكر أن الجمع بين ماهو نظري و ماهو ميداني ، سيمكننا كذلك من الوقوف في هذه الدراسة على بعض العوامل التي تشكل حاضرا خطرا حقيقيا على تشويه العمارة الفرنسية في الجزائر كتراث وأزمة الفضاء العام والملكية المشتركة كواقع ،أو شكل جديد من التمازج في طور البزوغ. وكل هذا له دلالته أيضا على صعيد البحث والتفكير وكدا السياسة الحضرية للدولة الجزائرية على المدى القريب والبعيد (مسألة التدهور السوسيو-مجالي للبناءات الكولونيالية).

3_ طرح إشكالية الدراسة :

ولأهمية مسألة الإنتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع المدني ضمن علم الإجتماع الحضري الجزائري الخاص بإشكالية التسكن الهوياتي ، من المهم تفهم أساليب التملك والتكيف وكدا الممارسة الإجتماعية ، والتعرف على مدى تأثير العمران الكولونيالي على الإجتماع الجزائري دو البنية التقليدية ، ومحاولة رصد هده العلاقة بين السكن والساكنة، كنتاج تفاعل وتقاطع عدد من خصائصه العمرانية – عمره ، طرازه ،مكانه في المدينة ،سعته ، خصائص المقيمين به ،حجم الأسر ، مستواها المعيشي ،الثقافي ،مدة الإقامة به ، درجة إدماجها في المدينة ،الحالة القانونية لحيازة مسكنها.

والملاحظ في المجتمع الجزائري أن هناك تدخلات شتى على إطار المبني و تجري هذه التدخلات وكأن ما يهم من المبنى وحتى من المدينة سوى الجانب الوظيفي للمسكن أما الجوانب الأخرى كالناحية الجمالية و الحضرية للمبنى تبدو ثانوية، وبالتالي يشكل نوع من عدم التلاؤم بين الساكن والمدينة بخاصة إذا علمنا أن هده المباني ذات طابع أوربي– بمعنى أنها تعكس او تجسد رغبات الساكن الأوروبي، لتصبح هده العلاقة تكتسي طابع الغموض الذي يطرح بدلك مشكلة إعادة تملك المدينة الجزائرية من قبل نازحين إليها، منهم فئة تكيفت مع هدا الوسط الحضري الموروث، ومنها ما أعادة تكوينه وظيفيا و مورفولوجيا لتكييفه حسب احتياجاتهم. لدا تتحدد الإشكالية العامة لموضوع دراستنا على النحو الآتي:

_ كيف يتملك الساكن الجزائري الفضاء السكني الكولونيالي بحي سيدي البشير بمدينة وهران؟

4–التساؤلات الرئيسية:

– لماذا يقوم السكان بتدخلات على المسكن و كيف تتم هده الأخيرة، قانونيا و مورفولوجيا ووظيفيا ؟

– ماهي هده التغييرات وما انعكاسات هده العمليات على المسكن في حد ذاته و على المباني التي ينتمي إليها و أخيرا على المنظر العمراني العام؟

– إلى أي مدى يستمر تأثير الحضور الإستعماري في أنماط التحضر اليوم وما مدى انسجامه مع الساكنة الجزائرية.

5– فرضيات الدراسة :

للإجابة عن هذه التساؤلات اقترحنا فرضيات كإجابات مؤقتة على إشكالية دراستنا على النحو الآتي:

– التنافر بين المعمار الكولونيالي في تصميمه وممارسة الساكن يعود لأسباب بنيوية ضمن المجتمع التقليدي – ديموغرافية– اقتصادية –ثقافية واجتماعية.

– إعادة صياغة الفضاء السكني – توسعة غرف الإستقبال، غرف النوم، المطابخ على حساب الشرفات ضم مدارج السلالم كامتداد للمساكن– هو شكل من أشكال التكيف بصورة مشوهة.

– الملكية المشتركة في أوساط الجزائريين تعني اللامسؤولية الإجتماعية المشتركة التي تقع على عاتق الشاغلين.

المبحث الثاني: الإقتراب المنهجي العام:

1- المنهج والتقنية المتبعة في الدراسة :

يمكننا القول أن هذه الدراسة اعتمدت طريقة دراسة الحالة(Etude de cas)، بحيث أن مجموعة المبحوثين الذين شكلوا مجتمع البحث هم حالة من مجموع سكان مدينة وهران (**حي سيدي البشير تحديدا**) من مجموع الساكنة الوهرانية بالعمارات ذات النمط الفرنسي ولم يتم اختيارهم على أساس إجراءات معاينة خاضعة لشروط محددة وعلى سمات وخصائص معينة كونهم يمثلون عينة أوسع في المجتمع، بل إن اختيارهم خضع لعامل القصد (المشاركة الطوعية للأفراد الذين وافقوا على المساهمة في التحقيق). وبذلك يمكن اعتبار المشاركين في التحقيق بمثابة وحدات اختيرت وخضعت عمدا ودلك تماشيا مع إشكالية الدراسة، بحيث شكلت موضوعا لتحقيق حول مختلف ظروف وجوانب حياتها الإجتماعية والمهنية ، العمرانية والمعمارية بصفة عامة.

وبغرض جمع المعلومات أثناء التحقيق وظفنا تقنية المقابلة، وزعت على أفراد العينة، وهي (10 مقابلات موزعة)، وقد صيغت تلك الأسئلة بعد موافقة الأستاذ المشرف، وتحكيم كل من الأستاذ صحراوي بن حليمة و الأستاذ درداري محمد- وهما أستاذان بقسم علم الإجتماع بجامعة مستغانم يشتغلان في إطار تخصصنا- بطريقة تغطي مجمل المحاور الرئيسية للموضوع بغية الإجابة عن القضايا الأساسية في الدراسة.

أما عند معالجة المعطيات وتحليلها فقد حاولنا توظيف المنهج الكيفي والتحليلي ولو في صيغته المبسطة – بالإعتماد على ما توفر لدينا من معلومات نظرية ومعطيات ميدانية مثل الصور الفوتوغرافية ، المخططات، الجداول وكدا الخرائط، والتقارير التقنية- المستخرجة من مصالح التهيئة العمرانية أو البلدية – بحثا عن إبراز العلاقة الممكنة بين متغيرات معينة بين الساكنة في العمارات الكولونيالية ومسألة التملك والتكيف، وذلك بالنظر إلى مجموعة من المتغيرات المميزة للمبحوثين (مثل مستوى التعليم، المهنة، الحالة المدنية ، عدد أفراد الأسرة و عدد الغرف ، الوضعية

القانونية للمسكن – مستأجر أو مالك أو ملكية وراثية – أيضا الجيرة...) التي بدورها تعكس المضامين التي يعطيها كل مبحوث أو مجموعة من المبحوثين لموضوع أو فكرة رئيسية.

2– مجتمع البحث:

باعتبار أن أي بحث سوسيولوجي يجب أن يمر بمرحلة اقتراب معرفي ميداني لمجتمع البحث، تحديدا إقتراب إستطلاعي يمكن اعتباره كنقطة استدلال، الغاية منه تصويب أسئلة المقابلة من جهة والتعرف على مجتمع البحث من أجل الحسم في مسألة التحقيق ومدى توافقها مع إشكالية وفرضيات الدراسة. فكان اختيارنا للوحدات التي شاركت في التحقيق قائما على الصدفة فيما يتعلق بتوزيع أسئلة المقابلة على السكان تحديدا، لقد تم توزيع (10 مقابلات) على مجموعة أفراد قاطنين بالحي أعلاه مع مراعاة متغير النوع الإجتماعي .

3– حدود الدراسة الميدانية ومجالها:

إ نطلاقا من نتائج الدراسة الإستطلاعية في مشروع إنجاز المقابلة التي كانت في شهر جانفي تحديدا في العطلة الشتوية، وما أفرزته من نتائج سوسيو– أنتروبولوجية وسيوسيو–حضرية خصت مجتمع البحث أعلاه ، تم تعديل وتوجيه الأسئلة بشكل أكثر مما كانت عليه، ودلك باستشارة الأستاذ المشرف، وبعد تحكيمها من طرف الأستاذين أعلاه عدنا مجددا إلى مجتمع البحث ، ودلك بداية من 15 مارس 2013 إلى نهايته، تحقيقا للدراسة الأمبريقية بجمع المعطيات العامة المشكلة لمحور دراستنا اعتمادا على الوسائل والتقنيات المذكورة سابقا.

4– المفاهيم الإجرائية للدراسة:

4-1-المسكن:

- **لغة**، من السكن و السكون، فالسكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان فنقول نذهب إلى سكن فلان أو مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه **فلان**. إذا انطلقنا من الجذر اللغوي للكلمة (س.ك.ن) وجدنا المشتقات الفعلية و الاسمية منه تحيل على أربعة معان رئيسة المنزل بمعناه المادي المباشر: فالسكن و المسكن (بفتح الكاف أو كسرها): المنزل و البيت، فعل السكن أي الإقامة بالمكان المعدّ للسكنى : فسكن بالمكان يسكن سكنى (بضمّ السّين) و سكونا[1] : أقام الإنسان الّذي يسكن : فالسكن (بتسكين الكاف) أهل الدار، اسم لجمع ساكن كشارب وشرب الهدوء و السكينة : " سكن الشيء يسكن سكونا إذ ذهبت حركته "، و يضيف صاحب اللّسان " والسكن : كلّ ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل و غيره، و ربّما قالت العرب السكن لما يسكن إليه، و منه قوله تعالى : جعل لكم الليل سكنا. و"استكن و تمسكن و استكان، أي خضع وذلّ. عرف المسكن من الناحية اللغوية أيضا على أنه السكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان فنقول نذهب إلى سكن فلان أو مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه فلان ، والسكن هو الإيواء والانتفاع.

من الواضح أن معنى القرار و الثبات، نقيض الحركة و الاضطراب، يمثّل الخيط الدلالي الرفيع الذي يجمع بين مختلف الصّيغ اللغوية المتعلّقة بجذر كلمة "سكن" حتى تلك الّتي تبدو في ظاهرها ذات استخدام مغاير مثل عبارة "السّكنى" (المدية)، إذ أنّها كما يلاحظ ابن منظور نقلا عن الأزهري : " سميت سكّينا لأنها تسكّن الذبيحة، أي تسكنها بالموت، و كل شيء مات فقد سكن ". كذلك آلة السككان (بضمّ السّين)، إذ هي "ما تسكّن به السفينة و تمنع به من الحركة و الاضطراب[2] . و السكن في الاستعمال القرآني يعني في ما يعنيه المرأة: "ومن آياته أن خلق

[1]- ابن منظور: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، المجلّد الثالث عشر، دون تاريخ، ص212. أنظر: شيخ احمد رضا، **معجم فن اللغة**، مجلد2، مكتبة الحياة، بيروت، 1959، ص57.

[2]- المصدر نفسه ص ص111-112.

لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليه"، و ممّا يلفت الانتباه أن الكعبة نفسها الّتي تمثّل التجسيد الأرقى للفضاء المقدّس المبنيّ، تتأصل رمزيا ضمن هذا السياق الدلالي العام بقدر ما تتّصل به لفظيا عبر المعطى اللغوي، بما أنّ اكتشاف إبراهيم للأرض المقدّسة لبناء البيت الحرام اهتدى إليه، حسب إحدى الروايات التي نقلها ابن كثير، بنوع من الرّيح تسمى "السكينة"، و هي "ريح خجوج و لها رأسان، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهى إلى مكة، فتطوّت على موضع البيت كطيّ الجحفة و أمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة فبنى"[1]

و كلمة "الدار" المرادفة للسكن و المستخدمة على نطاق واسع رغم مطابقتها لنمط من السكن هو هذا الّذي نجده في المدن التاريخية العتيقة، ذات محتويات انفعالية و قيمية أحكم المجتمع شحنها كما تشف عن ذلك عدّة مأثورات شفوية مثل" الدار قبر الحياة"، حيث لا يبدو تمثيل السكن بالقبر نوعا من الاستعارة قائمة على مقتضيات البلاغة، و إنّما يعكس صلة أنثروبولوجية عميقة بينهما تتردّد العديد من صورها ضمن تخيّلات الراحة و الحميمية، فكلاهما مستقرّ و عود بعد هجرة و تغرّب : القبر رجوع إلى أحشاء الأرض، والمنزل نزول و عود إلى نقطة الثبات في رحلة التقلّب و الاضطراب داخل الحياة. و بهذا فالوجه المعماري للسكن لا يمثّل سوى الجزء الظاهر من ممارسة السكن في أبعادها المادية و الوظيفية و الرمزية منظورا إليها كوحدة تخضع، حتّى في أشدّ عناصرها بساطة و بداهة، إلى نظام رمزي يعطي لها معنى، لذا "فالسلوك نفسه رمز"ما دام ينطوي على حدّ أدنى من التمثّل الصامت، و السكن في سياق المجتمع التقليدي هو حقل من السلوكات الرمزية التي تنشأ و تتوالد في بناء متنام متواز مع بناء المنزل منذ لحظة التأسيس[2].

[1]- ابن كثير، تفسير **القرآن العظيم**، بيروت، دار الجيل، الجزء الأوّل، 1990، ص.169.

[2]- Sapir, Edward,**Anthropologie**, Traduit par Chr. Baudelot et P. Clinquart, Paris, Editions de Minuit, (…)

معنى المسكن في المعاجم، وللمسكن مرادفات مثل_البيت_ المنزل_دار_مأوى وتعرف على أنها مكان الإقامة وهو الذي يؤمن استقرار حياة الناس والمنزل كمصطلح مرادف يعني مكان النزول إلى الحلول بالمكان والتوطن فيه[1] ، المسكن من السكن و السكون فالسكون آي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان فنقول نذهب إلى سكن فلان او مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه فلان. [2] كما اعتبر المنجد الفرنسي Le Petit Robert أن المسكن يوفر الراحة ووظائف أكثر تعقيدا فهو نمط تنظيمي لحياة الجماهير في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان.

- **اصطلاحا**، يعني الإيواء لقوله تعالى"الله جعل من بيوتكم سكنا" [3] وللمسكن مرادفات مثل_البيت_ المنزل_دار_مأوى وتعرف على أنها مسكن الإقامة وهو الذي يؤمن استقرار حياة الناس والمنزل كمصطلح مرادف يعني مكان النزول إلى الحلول بالمكان والتوطن فيه، والمسكن هو المنزل الذي تسوده العلاقات الإنسانية والدي يكفل تماسك الأسرة ورقيها وفيه يبلور كل منها ذاته وكيانه الاجتماعي ويحمي حياته الخاصة بشكل عادي ويكون بدلك من أهم حاجات الفرد والأسرة وشكل من أشكال ثقافتها المادية. ويطلق تعبير البيت كاسم سقف واحد له دهليز يتخذ مأوى للإنسان أو البهائم سواء من حجر أو غيره وقد سمي بهذا الاسم لكونه مركب من " بيت الشباب أو بيت الدين أو بيت الإبل ، واقترن اسم البيت بمعنى العائلة لأن البيت أو المسكن هو رمز العائلة والمنزل كمصطلح مشابه يعني مكان النزول من ينزل نزولا ومنزلا أي يحل بالمكان وهناك مصطلح الدار أي بيت فلان حتى أن كلمة الدار لها تعبد ديني تردد في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة وحجمها دور فلان وديار وهي تستعمل لذكر الدارين الدنيا والآخرة ونقول دار فلان أي بيت فلان حتى أن كلمة بيت بهذا المعنى تشير إلى البيوت المقدسة " بيت الله الحرام " وهناك من عرف المسكن على أنه مكان يتوطن فيه الإنسان ، كما تعني الإقامة والديمومة والاستمرارية في

---

[1]- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ص 80. شيخ احمد رضا، **معجم فن اللغة**، مجلد2، مكتبة الحياة، بيروت، 1959، ص57. أيضا: بطرس البستاني :دار المعارف، المجلد رقم5 ، دار المعرفة، بيروت، ص730

[2]- الشيخ احمد رضا، **معجم فن اللغة**، مجلد2، مكتبة الحياة، بيروت، 1959، ص57.

[3]- القرآن الكريم، **سورة النحل**، الآية 79 برواية ورش.أنظر: إبراهيم بن يوسف، **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**، مطبعة أبو داوود، 1992 ،ص 4.

العلاقة مع المكان السكني أكثر من النزول أو الحلول .و المسكن هو المنزل الذي تسوده العلاقات الإنسانية والذي يكفل تماسك الأسرة ورقيها وفيه يبلور كل فرد منها ذاته وكيانه الاجتماعي ويحمي حياته الخاصة بشكل عادي وبذلك هو من أهم حاجيات حياة الفرد والأسرة وشكل من أشكال ثقافتها المادية.

- **إجرائيا**،هو دلك الإنشاء الهندسي المصمم بطريقة فنية وجمالية راقية فهو بدلك وعاء فيزيائي وضع لتنتظم تحت سقفه الآسرة بكل ما تحمله من خصوصية عادات وتقاليد فيصبغ بالطابع الإنساني ليصبح مكانا حيا يعبر عن معنى الحياة فيه بلغة بصرية، ويشترط أن يكون ملائما للسكن الآدمي بحيث يؤدي وظائف متنوعة و راقية يستجيب فيه لحاجات ومتطلبات مستعمليه فهو باختصار مأوى مصمم لحماية الأسرة وتلبية حاجاتها المختلفة ويعكس الصورة الحقيقية لشخصيتها وكل ما تحمله من مبادئ. كما يعبر عن تجميع أفراد في مبنى يلاءمهم ويلبي حاجاتهم الشخصية ويعبر أيضا عن المباني ذات البعد الإداري والثقافي والاقتصادي وهو كل مجال مسكون منظم بالمجتمعات الإنسانية والمرافق الضرورية، ويقوم المسكن بعدة وظائف، ومن الذين لفت انتباههم هذا الموضوع **روبر لارسول** Robert Lerousl، حيث يوضح في دراسته حول إيكولوجية الإنسان" أن المسكن يستجيب إلى عدة وظائف، حيث يقي الفرد من العواصف والأمطار والثلج والشمس، ويحافظ على الفرد من العدوان الخارجي ويحفظ الأشياء السرية وعلى خصوصية العائلة و الفرد " وذهبت **اليزابيت وود** ilizebete waud إلى القول في نفس الصدد" أن المسكن الجيد يسمح للعائلة بتحقيق وصيانة الشرف وعزة النفس ويسمح بالمجتمع ولا يحتم الانفصال كما يلي جميع الحاجات والأعمال اليومية ويوفر فضاء إضافي يستجيب لطموحات أخرى " ، كما يفسر مجموعة من العلماء من أمثال **جوزيف شونغ**jozif chang ، **دومينيك أشور**dominique achaur ، **لان لابوانت** lan labointe " أن المسكن حاجة ضرورية للإنسان يتكون من الحديد والخرسانة والخشب ويلي مجموعة وظائف كالنجدة، الراحة، والرفاهية والسهولة وعدد أخر من رفاهية الفرد".

- **في الدراسات السوسيولوجية:** تثار في مجال الاستخدام العلمي الاجتماعي بخصوص المقاربات التي يمكن أن تلاحظ بين المفهوم اللغوي و الإصطلاحي للمسكن من ناحية و مفاهيم المنظرين وخاصة في مجال علم الاجتماع الحضري، ولئن كانت العديد من المؤلفات ذات التوجهات ..... خاصة، تحرص على التأكيد هدا التعريف بما هو موجود فعلا وواقعا. والجدير بالذكر هو الإختلاف الواضح الذي يميز هذه المفاهيم من منظر إلى آخر كل حسب توجهه العلمي.نجد في هدا الإطار **بيار جورج** (Pierre George) **يرى ب**أن المسكن هو عنصر أساسي للارتباط بين الفرد و الأسرة والوسط الاجتماعي وهو يضم نموذج من الإنسانية كما انه اعتبر المسكن على انه مكان يوفر الراحة والوظائف مهمة فهو نمط تنظيمي لحياة الناس في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان. [1] كما هناك من يعرفه على أساس أنه المكان الذي يقيم فيه الأفراد تربط بينهم روابط الحب والتعاطف وهو المكان الذي تنبع فيه علاقة المحبة بين الأبوين وبين كل فرد من الآسرة والتي يسعد بهما الأطفال والكبار وهو المكان الذي تتم فيه استضافة الأهل والأصدقاء وهو المكان الذي يحمي الشخص الغير سوي في الأسرة وهو المكان الذي ينعم فيه الفرد بالراحة والخصوصية ويشعر فيه بالأمان وهو المكان الذي يشعر فيه بالأمان وهو المكان الذي يحفظ فيه الثقافات الأساسية ومكونات العادات والتقاليد. [2] وقد اهتم **باشلار** bachlar**و لونير** lounirضمن إطار تحليلي وظائفي، فالمسكن هو خلق مساحة يومية وإحاطة سلسلة واسعة من العلاقات والمشاهد العائلية في نشق اجتماعي، حيث يعيش الساكن علاقات حب وكراهية اتجاه مسكنه ومن يحيط به المرتبط بهوية صاحبه، باشلار تعرض إلى المسكن حيث اعتبره شيئا حيا له خصوصية وصفات هندسية تصمم ملامح الألفة ومسكن الطفولة ومركز تكييف الخيال، حيث أن هذا المسكن هو لغة الحياة الحية وأدوات حياتها اليومية والنفسية التي بدونها تفقد الألفة في الحياة[3].

---

[1]- احمد صبور، **المعرفة و السلطة في المجتمع العربي**، مكتبة الحياة، بيروت، 1959، ص59.

[2]- سلوى محمد سعيد، **الإسكان 'المسكن'البيئة**، دار الشروق، جدة، السعودية، 1986ص16-17. أنظر: سارة منيمنة ."**التكوين الوظيفي للمدينة الإسلامية**"، مجلة الفكر العربي، مسألة المدينة والمدينة الإسلامية .العدد .19 سنة197 .

[3]- بيار باشلار ، **جمالية المكان**، ترجمة غالب مالسا، الدار المجد، بيروت ، 1987 ،ص 42 .

4-2-التكيف:

هو عملية التغير وفقا لظروف التي تحيط بالمرء او تبعا لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية والتكيف يشير إلى حدوث تغيير عضوي في شكل الجسم او وظيفة من وظائفه بحيث يصبح قادر على البقاء و الاستمرار .أما بالنسبة لسلوك الفرد فهو التغير الذي يطرأ تبعا لضرورات التفاعل الاجتماعي و استجابة لحاجة المرء إلى الانسجام مع مجتمعه و مسايرة العادات و التقاليد الاجتماعية التي تسود هذا المجتمع. أو هو عملية تلاؤم الفرد مع البيئة التي يعيش فيها وقدرته على التأثير فيها وهو محاولات الفرد النشطة و الفعالة التي يبذلها خلال مراحل حياته المختلفة لتحقيق التوافق و التلاؤم و الانسجام مع بيئته بحيث يساعده هذا التوافق على البقاء و النمو وأداء دوره ووظيفته الاجتماعية بصورة طبيعية يرى الكثير من المختصين الاجتماعيين أن مساعدة الناس للتغلب على ضغوط الحياة خلال مراحل نموهم المختلفة و تقوية قدراتهم التكييفية و دعمها هو جزء أساسي من عملية الخدمة التدخل و العلاج في الخدمة الاجتماعية.[1] وهو تغير سلوك الفرد مع البيئة التي يعيش فيها او مع غيره من الأفراد و خاصة باتباع التقاليد أو الخضوع للالتزامات الاجتماعية.[2]

1-الدراسات السابقة:

4-1- دراسة عائشة التايب[3]:

[1]- عدنان ابو مصالح، **معجم علم الاجتماع**، دار أسامة المشرق الثقافي،عمان، الأردن ط 2010 ص 38،139.

[2]- احمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الرعاية و التنمية الاجتماعية**، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1، 1997.

[3]- عائشة التايب، " **التحولات الحضرية بمناطق الإستغلال المنجمي بالمغرب العربي- المناطق المنجمية بالجنوب التونسي مثالا-** " ، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الإجتماعية والثقافية، العدد 42 اكتوبر-ديسمبر،سنة 2008، وهران، ص 31-59.

موضوعها خص المدينة الصناعية موسوم ب " التحولات الحضرية بمناطق الإستغلال المنجمي بالمغرب العربي- المناطق المنجمية بالجنوب التونسي مثالا- " والمرتبطة أساسا بالإستغلال المنجمي في المرحلة الإستعمارية، طرحت موضوع التحضر بمناطق المغرب العربي – تونس كدراسة حالة- المستحدثة بقوة الفعل الإستعماري، إشكالية دراستها تمحورت حول " ما **مدى استمرارية تأثير التخطيط الإستعماري وشكل فلسفة هندسته للمجال المنجمي في نمادج التحضر الحالية** ؟" ، بهدف الوصول إلى مدى نجاح سياسات التحضر من قبل الحكومة ما بعد الإستقلال، وتفاعلها مع الفاعلين الإجتماعيين بهدا الفضاء في مسألة تجاوز القرية المنجمية الإستعمارية، وهو عمل في شكل مقاربة سوسيوحضرية تحاول التركيز على سلوك الفاعل الإجتماعي المحلي والبحث عن رمزية بعض استراتيجياته في التعاطي مع المجال.

من أهم **نتائج دراستها** ، التموقع الرمزي للمواطن التونسي بالقرية المنجمية وسكناتها الفاخرة التي كانت حكرا لعلية إطارات الشركة ، بعدما كانوا متمركزين بعيدا عن مركز القرية، وهو رد فعل منهم على أساس أنهم سليلي العروش الأصلية، من النتائج أيضا عزوف الفصائل البدوية عن الإنخراط في العمل المنجمي قابعين في خيمهم واقتصادهم الرعوي، واحتقارهم لكل وافد للعمل هناك، والجدير بالذكر أنه بالرغم من انتقال هؤلاء الأهالي من رعاة إلى عمال فقد ظلوا هامشيين في مستوى سلم العمل بوصفهم يد عاملة بسيطة، تضاف إلى ثنائية أصيل وغريب كمعطى مركزي ساهم في هيكلة الحياة الإجتماعية، ظهر في شكل صراعات إجتماعية وسياسية ونقابية،إيمانا منهم بأن الإنتماء القبلي يطفو على أية مرجعية أخرى، لتصل الباحثة في النهاية إلى أن تواتر شغور المنازل واحتلالها من طرف الفاعلين الإجتماعيين بالفضاء المنجمي جعلت من ظاهرة التحضر تتخذ طابعا انتكاسيا وعكسيا، فعوض التمدد كان النسيج الحضري يدور حول نفسه أو بالأحرى بقي حبيس الدائرة التي رسمتها الشركة الإستعمارية ، وبالتالي بقي التمركز الحضري إلى حد كبير أسير التصور الإستعماري الذي حصر القرية في مركزها.

4-2-عابد بن جليد [1]:

موضوعه جاء تحت عنوان " كيفيات الإندماج الإجتماعي في سيرورة التنظيم الحضري بالبلدان المغاربية- حالة مدينة وهران- " **إشكالية الدراسة:** كيف تتشكل المدينة في البلدان المغاربية وكيف تندمج مجموعة من النواة غير الشرعية (Les Noyaux illicites)، في المدينة الرسمية؟ بهدف دراسة حالة وهي السكن دو الوضعية غير القانونية في ضواحي المدينة ومن حيث الممارسات المطبقة من طرف ساكنيها. عالج من خلاله العمارة المتناقضة في الضواحي الأقرب للمدينة بين " الحوش و الفيلا" لتتحول إلى مدينة قائمة بوهران. من بين **نتائج الدراسة** أن مسألة كيفيات الإندماج في سيرورة التنظيم الحضري هي اعتماد سلسلة من الإستراتيجيات في شكل صيغ للإندماج من طرف السكان قصد الإعتراف بنواة سكنهم غير الشرعي، قدمها صاحب الدراسة في شكل ثلاث معطيات: قربهم من أصحاب القرار أو ضمنهم، حراكهم داخل النسيج العمراني يسهل روابطهم الإجتماعية ضمن النواة غير الشرعية، إنشاء المسجد وهو رمز لا يمكن للسلطة السياسية المساس به. لينتقلوا إلى مرحلة الضغط من اجل إنجاز المدارس بغرض إدراج النواة غير الشرعية في المدينة "الإدارية". وهكذا يتم تسوية المجال العقاري من قبل هؤلاء المحتلين.

.

4-3-دراسة بديعة بلعابد- صحراوي: [2]

[1]- عابد بن جليد ، " كيفيات الإندماج الإجتماعي في سيرورة التنظيم الحضري بالبلدان المغاربية- حالة مدينة وهران- "، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الإجتماعية والثقافية، العدد 42 اكتوبر-ديسمبر،سنة 2008، وهران، ص 83-95.

[2]- بديعة بلعابد- صحراوي ،"Politique municipale et pratique urbaine : constantine au xixe siecle" ، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الإجتماعية والثقافية، العدد المزدوج 35-36 اكتوبر-ديسمبر 2008، وهران، ص 109-129.

هي في الواقع دراسة سياسية و قانونية باللغة الفرنسية موسومة بعنوان: " **السياسة البلدية والممارسة الحضرية: مدينة قسنطينة في القرن التاسع عشر** " لفهم الإطار السوسيوسيو حضري في المرحلة الكولونيالية ، تخص مداولات المجلس البلدي ومتابعته لفهم القرارات المتخدة في مجال السياسة العمرانية والتي كانت سببا في الإصلاحات الأولى التي عرفتها المدينة أعلاه في القرن التاسع عشر ، أكدت من خلال دراستها ان الخيارات المعتمدة آنذاك من قبل المجلس البلدي كانت تستجيب لمصالح الإستعمار، بعد عرضها لمجموعة الكيفيات والإجراءات لأجل التعجيل في عمليات الإستملاك وإنتاج مبنى مطابق لمعايير المدينة الفرنسية بعد تحويلها عن نمطها العربي ، وقد قدمت صاحبة الدراسة المناهج والوسائل والأفكار التي اعتمدت في مسار ابتكار المدينة. وبالتالي تحديد خصائص المشروع الحضري الكولونيالي للمدينة.

4-4- دراسة عبد القادر لقجع: [1]

هي في الواقع تقرير باللغة الفرنسية حول بحث تم في شهر جويلية سنة 1996، وهو معنون في هدا العمل ب" **السكن الهوياتي**، عناصر من أجل إشكالية مدينية في طور البزوغ" **إشكاليته تتمحور حول: طرق امتلاك الفضاء المنزلي في الوسط الحضري بمدينة وهران**. يظهر هدا البحث مسلكا انتربولوجيا في عالم الإسكان المغلق، الهدف من هدا البحث الوصول إلى واقع امتلاك الفضاء المنزلي، ركز فيه الباحث على الممارسات السكنية، واعتمد فيه على الدراسة الإحصائية في تحليل ديناميات التغيير و/ أو التعديل في المبنى والتعبير السكني،عينة دراسته مع فرقة البحث شملت 1059 مبحوث بمدينة وهران، وقد خص بدلك العلاقة الجدلية بين السكنات في محيطها ووحدة الفضاء – العائلة- في شبكاتها الإجتماعية ، والتي توضح القواسم المشتركة التي تغدي وتغني علاقات وتمثلات

[1]- عبد القادر لقجع " L'habiter identitaire :Elément pour une problimatique d'une urbanité en émergence "، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الإجتماعية والثقافية، العدد 2 خريف 1997، وهران، ص 77-103.

الساكن بالآخر. بصفة عامة السكن كفضاء للتعايش والحي كفضاء للإقامة مكملان لبعضهما البعض كما أن كلا الفضائين – فضاء التعايش وفضاء الإقامة- يشكلان عناصر جدب تتعلق بنفس الفضاءات و الإحتياجات بحرية واختيار (مسكن لاشكلي، تحويلات تغييرات المسكن المخطط له من طرف الدولة) عرض بعدها مختلف الصيع القانونية المتعلقة بالمسكن الجماعي.

4-5- دراسة كرباص موشيخ [1] و بن دادوش آسيا[2]

هما عبارة عن دراستين آكاديميتين في جغرافية العمران خصتا مورفولوجية و تنميطية مساكن مدينة وهران تحت عنوان موضوع التحولات السكنية للفضاء الكولونيالي، وهي موسومة بـ " التحولات المورفولوجية و الوظيفية للسكن و آثارها على المحيط العمراني في الجزائر" (حالة مدينة وهران)، إشكالية الدراسة جاءت على النحو الآتي:" **لماذا يقوم السكان بتدخلات على المسكن و كيف تتم هده الاخيرة ؟هل المباني مهما كان طرازها تتعرض لهذه التغيرات وما انعكاسات هده العمليات على المسكن في حد ذاته و على المباني التي ينتمي إليها و أخيرا على المنظر العمراني العام** ".

للإجابة عن هدا الإشكال قام بعرض مفصل للمساكن بمدينة وهران قبل، أثناء وبعد الإستقلال، ونظرا لأهميتها البالغة سنقوم بتقديم **نتائجها** مع إبراز أهم ما ورد فيها من تحليل بما يتوافق مع إشكالية دراستنا.

بالنسبة للمساكن التي شيدت **قبل الاستقلال** والمقصود بها- المساكن المنجزة للأوروبيين- وتمثلت في طرازين الأول هو "المساكن الجماعية " والطراز الثاني هو المساكن الفردية. ، وبالنسبة للطراز الأول، حدده الباحث في ثلاثة أنواع ، أولها المساكن الجماعية للفئات المتواضعة في مركز المدينة"،" برمجت هذه المساكن للأسر الأوروبية ذات الدخل

[1]-Karbas.Moucheikh, **Analyse d'une Ancienne Cite de Recasement en Transformation**/Petit Lac Oran D.E.S.Geog Université d'Oran.1983

[2] -Bendeddouch.Asya.**Les Nouvelles Zones D'Habitat Collectif Dans les Grandes Villes** .Le Cas d'Oran/Magistère .urbanisme, université usto.Oran

المحدود و المتوسطة الحجم ,اغلبها ذات ثلاث غرف ومطبخ لكن دورة المياه مشتركة فحلت محل الأسر الأوروبية المتوسطة الحجم اسر جزائرية كثيرة الأفراد قامت بتغييرها بعد شرائها في خوصصة المساكن بمبالغ زهيدة وبتسهيلات كبرى، وأما ثانيها فتمثل في المساكن الجماعية ذات الطراز الرفيع" ، شيدت هذه العمارات في الخمسينيات للطبقات الاجتماعية الأوروبية الميسورة ,تتسم 1,5 و 1,62 فردا في الغرف يقطنها موظفون و إطارات سامية و مسؤولون كبار و ذوي المهن الحرة ,نسبة تملك المساكن مرتفعة لكن يسكنها ما بين 85% و92% من ملاكها و ما تبقى من أملاك هي مؤجرة ,ما يلاحظ في هذا النوع من العمارات هو الاعتناء بالجهات الداخلية للمساكن لكن قليل ما يعتني بالجهات المشتركة مثل السلم والواجهات و السطوح و المدخل الرئيسي لأنها ملك مشترك و لم يعهد السكان من قبل هذه الحالة القانونية لحيازة المساكن ولم يتعودوا بعد على تسييرها"، وبالنسبة للنوع الثالث فهو المساكن الجماعية المتواضعة الهامشية، وقد أنجزت في الخمسينيات للموظفين وهي من النوع الاقتصادي لكن تشكل هذه الفئة حاليا سوى 17% إذ يكون العمال الأغلبية و الباقي عبارة عن تجار أغلبية السكان اشتروا مساكنهم وادخلوا عليها تعديلات طفيفة قصد تحسينها ,لم تضف غرف لانعدام الشرفات أصلا وقليلة هي المساكن التي طرأت عليها تغيرات وظيفية بسبب تواجد هذه العمارات على هامش المدينة.

أما الطراز الثاني من المسكن فهو "المسكن الفردي" وحدده الباحث بنوعين، الأول تمثل في السكن الفردي الراقي ، ويتكون هذا السكن من الأحياء الراقية و الأحياء ذات البناء الجيد الطراز يتميز هذا النوع بسعته و احتوائه على حدائق خلفية و أمامية وكان لا يتجاوز علوه أكثر من طابق إذ أثناء الاستعمار كان يمنع الأوروبيون منعا باتا من إضافة أكثر من ذلك كما كان يمنع البناء في الحديقة، حاليا نادرا ما نجد مسكنا من هذا الطراز محتفظا على شكله الأصلي إذ أضيفت بنايات في هذه المساحات الخضراء و تحولت تلك الفيلات إلى عمارات عائلية وأغلبية المساكن حول جزء من طابقها الأرضي أو كله إلى محلات تجارية. أما النوع الثاني فهو السكن الفردي الكثيف. يتسم هذا النوع من السكن بتجاوز عدة أسر في مبنى يتوسطه بهو فيه مجالات للنباتات التزيينية ولكن بعد 1981 أي بعد شراء

تلك المساكن حولت تماما ،إذ اقتسمت الأسر الفناءات فأصبحت تعاني هذه المساكن من الرطوبة الشيء الذي أدى الكثير من السكان إلى ترميم مبانيهم حيث خصصوا الطابق الأرضي للمحلات و أصبح المسكن يشغل الطابق آو الطوابق العليا.

ليواصل دراسته التنميطية لأنواع المساكن المنجزة للجزائريين إبان الاحتلال الفرنسي وهي ثلاث أنواع، البناء الجماعي، شيدت العديد من العمارات ذات الطراز المتواضع جدا ، تكون الآن هذه الأخيرة أحياء مكتظة بالسكان لان رغم ضيقها إلا أن الكثير من الزيجات تمكث طويلا مع الآباء لاستحالة الحصول على شقة أخرى لندرتها أو غلائها فلم يجر أي تحسن يذكر اللهم بعض التدخلات الطفيفة كتجديد الأبواب و تحصين النوافذ بالقبضان، لم تجد هنا الأنشطة الاقتصادية الظروف الملائمة للازدهار نظرا لقرب هذه المجمعات من الأحياء التجارية فالكثير يصبو إلى مغادرة هدا النوع من المساكن لعدم توفر المجال الحيوي.

السكن الفردي، هو سكن برمج لإعادة إسكان سكان الأحياء القصديرية اللذين طردوا من قراهم في الفترة الاستعمارية فهي تعكس النظرة التمييزية للمستعمر لسكان الريف، من حيث خططوا لهم مسكنا بسيطا قابلا للتطور و هو عبارة عن بهو محاط بغرفتين و مكان في إحدى زواياه لطهي الطعام ، مع ترك البهو بدون تغطية قصد السماح لهؤلاء السكان بغرس بعض الخضر لكن سرعان ما تغير هذا البهو إلى مساحة مغطاة بالاسمنت و حاليا قليلة هي المنازل التي احتفظت بها حيث أضيفت فيها غرف جديدة و غالبا ما اتسعت المنازل عموديا لضيق المساحة الأرضية التي لا تتجاوز مساحة أكبرها 52م فحولت معظم هذه المنازل إلى عمارات صغيرة مع كل ما تتضمنه هذه العمليات من أخطار خاصة وان الحي متواجد على أرضية هشة حيث هناك جيب مائي قريب من سطح الأرض فتنجز هذه العمليات بدون استشارة مختصين في الميدان و كذلك بدون طلب الإذن من الهيئات المعنية المساكن المشيدة من الجزائريين لأنفسهم، المساكن ، جل هذه المباني من النمط الفردي اغلبها تحسن مظهرها مع تحسين مستوى معيشة الأسر ، وهي تشهد توسعات راسية لإفراغ الطابق الأرضي لممارسة الأنشطة التجارية.

ويعرج بعدها إلى **مرحلة بعد الإستقلال** أين حدد نوعان من السكن وهما "البناء الجماعي و السكن الفردي ". أما الأول تحت ضغط طلب السكن قامت الدولة بتشييد مناطق حضرية جديدة في كل المدن التي تعاني من أزمة سكن ، فنتج عن ذلك منظر حضري يتسم بالرتابة حيث كرر نفس النموذج بدون الأخذ بعين الاعتبار ما يناسب الأسر الجزائرية من حيث نمط المسكن و سعته ولذلك سرعان ما بادر السكان في تغييرات داخلي، وبالنسبة للثاني يختلف هذا النوع عن السابق بتنوع أشكاله و مستوى طرازه و رفاهيته فهناك سكن التخصيصات الفردية وسكن التعاونيات العقارية ففي هذا النوع من البنايات تنوع كبير في الأشكال المعمارية لكن يقود عملية التشييد نفس المبدأ ألا وهو ترك جزء من المنزل للممارسة التجارية.

تمهيد:

لقد قام الاحتلال الفرنسي في الجزائر بتهديم جزء كبير من المدينة القديمة، وشيد بمحاذاتها مركز جديد وفق خصائص الهندسة الأوروبية, فقام بتحويل كثير من الشوارع الضيقة إلى أخرى واسعة ومفتوحة لتلبي الاحتياجات الاستعمارية والاقتصادية و الثقافية للفرنسيين والأوروبيين ومنه يمكن أن نخلص ,أن المستعمر حاول أن يجعل من هذه المدن الكبرى نذكر منها وهران التي تعكس تفوق العمارة الأوروبية على المجتمعات المستعمرة التي لازالت قائمة إلى يومنا هذا فتحولت الكنائس إلى مساجد ومدارس وسنتناول في هذا الفصل خصائص الطراز المعماري الأوروبي واتجاهات بعض مصممييه هذا من جهة وسنعرض من جهة أخرى مراحل تشكل العمارة الكولونيالية في الجزائر بصفة عامة ووهران بصفة خاصة .

المبحث الأول:العمارة الكولونيالية في الجزائر:

ظهرت في القرن التاسع عشر معطيات اجتماعية متميزة عما سبقها من علاقات في العصور السابقة فقام الكثير من المعماريين يعيدون النظر في معطيات العمارة السابقة وأسسها و راحوا ينادون بإرجاعها إلى أسسها العلمية و المنطقية وإزالة كل ما هو زائد و ظهرت مدارس معمار جديدة كان لروادها الأثر الكبير في تطوير المفاهيم المعمارية و إرجاعها إلى خطها الذي يجب إن تسير عليه فكانت المدرسة الفكرية في فرنسا بزعامة "هنري لابروست"(Henri Labrouste)

و"فيولان لودوك" (violin lodok)و قام هذا الأخير بوضع أول معجم معماري معلل حاول فيه إلقاء الأضواء على منطقية و علمية الكثير من المفاهيم و العناصر المعمارية.كما ظهرت في النصف الأول من هذا القرن النظرية الوظيفية في العمارة و التي كانت امتدادا منطقيا للمدرسة الفكرية كما ظهرت أيضا النظرية العضوية في العمارة كان لهاتين النظريتين الأخيرتين اكبر تأثير على العمارة في وقتنا الحاضر.

إن استخدام المواد الجديدة قد ساعد على التخلص من الطرز السابقة واعتماد أسس جديدة في الإنشاء وقد كانت هناك ردة فعل معاكسة حولت الأنظار عن الكثير من المنشات الجديدة وطرق الإنشاء الجديدة وظهرت في هذه الفترة معركة سميت معركة الطرز وراح المعماريون يحنون إلى ألماض من جديد و يقتبسون منه في محاولة يائسة للرجوع بالعمارة إلى سابق معطياتها و لكن فاتهم إن عنصرا جديدا كان قد بدا ومع القرن التاسع عشر بدأت العمارة تطورا جديد[1]

-1. P. Panerai, et Autres: Eléments D'analyse Urbaine Edit Dynode Paris p : 1978 P :18 .

لقد كانت عمارة القرن العشرين المعاصرة نتيجة لجهود الجيل الجديد من المعماريين و الذي اعتبر إن عمارة العصور السابقة بكل عناصرها ووسائلها أضحت قاصرة عن الرد على متطلبات الحاضر لذى كان من البديهي دراسة الحاضر بكل معطياته و الرد على مشاكل العصر بما بلائمها من حلول في ضوء التغيرات الصناعية و الاقتصادية التي طرأت في العصر وباستخدام كل الإمكانيات التي وضعها التقدم العلمي في متناول المعماريين و لقد رافقت بداية هذا القرن تغيرات كثيرة خاصة مع نهاية الحرب العالمية الأولى و التي كان من نتائجها.

أزمة السكن و اجتياح قيم اجتماعية جديدة إضافة إلى الأوضاع الاقتصادية فوجد المعماريين على مفترق الطرق فقد و جدوا أنفسهم أمام اتجاهين الأول الحاجة الملحة إلى البناء من جهة و الثاني الأزمة الاقتصادية التي اقتضت ارتفاع الأسعار وفقد المواد من جهة,كل هذه الأمور أعطت عمارة جديدة مختلفة كل الاختلاف عما سبقها سواء في شكلها أو في محتواها[1]

1- *Late Baroque And Rococo: Architecture- Christian Norberg_Shulz :Pno_p28*

2- ظهرت في أوربا بداية من القرن الثامن عشر تيارات فكرية متباينة في نظرتها إلى أزمة المدينة الأوربية، **التيار الأول** يدعو إلى ضرورة العودة إلى مرحلة سابقة وهي نظرة فنية وثقافية، أهم روادها وليام موريس وروستان، بانجلترا بعد النتائج السلبية للثورة الصناعية على الحياة المادية عامة والثقافية بخاصة (الأمراض والتلوث).يشهد على دلك كتاب كامبيلوسيت الموسوم بـ" فن العمارة حسب مبادئه الفنية"، وهو عبارة عن دعوة لتفعيل الفن في عملية البناء و الاهتمام بالثقافة في عمران المدينة ، الحرفة في مجال البناء، تنوع العمارات وبعدها عن بعضها ،عدم تمركز السكان في منطقة واحدة،العودة إلى التقاليد كل هدا استلهاما من مدن القرون الوسطى- ما يعرف بالتيار الثقافوي (Culturaliste). أما التيار الثاني فمرجعيته الثورة الصناعية وتراكم الرأسمال الصناعي، مقومات هدا التيار هي العلم والهندسة العقلانية ، يدعو إلى التركيز على المدينة العمودية، مرجعيته دستور أثينا – بمعنى الحركة داخل الفضاء السكني تقوم على أربعة وظائف: نوم، تنقل، أكل، تسلية.يعتمد هدا التيار على التفتح والحرية، وهو يشبه الإنسان بالنحل وهندسة خلاياه، من حيث الترتيب والتصنيف، تجاري،صناعي،إداري...، إنه التنطيق(Zonage)، لمزيد من الإطلاع أنظر:

3- Olivier Mongin : « **La Condition Urbaine, La Ville à L'heure De la Mondialisation** » Edition du Seuil, Paris, 2005, P : 112p :115.

لقد أضحت عمارة هذا العصر للناس كل الناس و لقد دخلت فعلا إلى صميم مشاكلهم و احتياجاتهم .

يتضح لنا مما سبق أن مميزات العمارة وخصائصها اختلفت من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين كون هذه الأخيرة تعرضت إلى تيارات مختلفة و تصاميم تطبق نظريات مختلفة ولكن بقي دائما هو خلق العلاقة بينها و بين المجتمع

ليس المطروح في هذا الفصل تحليل وسرد مراحل التكوينات الاجتماعية للجزائر في المرحلة ما قبل الكولونيالية، وإبراز الأنماط العمرانية والمعمارية و صيرورتها في التاريخ الجزائري ، بل إن المطروح بالتحديد هنا إبراز أهمية التدخل الاستعماري الفرنسي في تغيير وصوغ ملامح الأنسجة الحضرية بالمجتمعات المغاربية عامة والجزائر بخاصة، في إطار صيرورة التحضر ومساراته بالمغرب العربي المعاصر، والتي لم تكن نتاجا لتطور طبيعي لتلك المجتمعات، ولم تكن مرتبطة هيكليا بمسار تنمية متوازنة نابعة من صلب تلك المجتمعات بالقدر الذي كانت فيه أشكال التحضر انعكاسا مباشرا لعنف التدخل الاستعماري في حياة الأرياف والمدن على حد سواء، فكان من النتائج الطبيعية لتفكيك للبنى السوسيو- اقتصادية بالأرياف المغاربية، ومن ذلك مسار افتكاك الأراضي وإضعاف الزراعات التقليدية المحلية وإقحام الزراعات الحديثة و المكننة وغيرها، وضرب اقتصاديات المدن بتهميش الصناعات التقليدية وتفتيت نواها، وتركيز الصناعات الحديثة و الممكنة وحدها منافستها للصناعات المحلية، كما كان من نتائج كل دلك إفقار الأرياف وبروز حركة نزوح عارمة نحو المدن انطلقت معها مسيرة تحول الأرياف المغربية لأوساط طاردة سكانها ولفوائض مهمة من قوة عمل التجأت للمدن وأطراف الحواضر باحثة عن القوت، وسوف

تساهم هده الحركة إلى حد كبير في نسج ملامح المدينة المغربية الحديثة بمختلف تناقضاتها واختلالاتها وأزماتها.[1]

جدير بالذكر هو أن هده الحركة الداخلية الهامة وغير المسبوقة التي شهدها المجتمع الجزائري خلال المرحلة الاستعمارية، وإن كانت تتأطر في جانب مهم منها ضمن الأزمة المتواصلة التي كانت تعيشها معظم المناطق وخاصة الأرياف مند القرن التاسع عشر بسبب المجاعات والأوبئة ومشاكل ندرة الغداء وتضاعف الضغط الجبائي وتدخل رؤوس الأموال الأجنبية. فإن تلك الحركة تنصهر كذلك بقوة ضمن سياق التحولات الجذرية والعميقة التي أحدثها التدخل الاستعماري في النسيجين الاقتصادي والاجتماعي على كافة الأنساق الخاصة بالدولة الجزائرية، حيث لجأ المستعمر بحكم السياسة الاستعمارية إلى مناطق محظوظة تحولت إلى مراكز حضرية هامة شكلت مناطق جذب لسكان الدواخل، ومناطق أخرى ظلت أقل حظا واعتبرت عديمة الجدوى، فمثلت بالتالي مناطق دفع لأعداد كبيرة من السكان باتجاه كبرى المدن بحثا عن مواطن الرزق.

إذ يبقى الحضور الاستعماري بمختلف مخططاته وبرامجه واستراتيجياته فاعلا مركزيا في أشكال التحضر المنبثقة ببعض مدن الجزائر، وهدا الاستفسار هو محور إشكالية دراستنا، لذا قد يطرح في مثل هدا المستوى الذي يتعلق بمدى استمرارية تأثير الحضور الاستعماري في أنماط التحضر اليوم ومدى

[1] – حول المسألة المتعلقة بالتكوينات الإجتماعية للجزائر في المرحلة القديمة والوسيطة، وكدا سياسة التفكيك الإقتصادي و الإجتماعي للجزائر أنظر الدراسة الرائدة لعبد القادر جغلول: **مقدمة في تاريخ الجزائر القديم والوسيط**، ترجمة: فيصل عباس، بيروت ، دار الحداثة للنشر والتوزيع، ط2 ، 1988. و لمزيد من الإطلاع حول موضوع البنية الإجتماعية والسياسية في الجزائر الماقبل الكولونيالية أنظر: مغنية الازرق ، **نشوء الطبقات الاجتماعية في الجزائر** : "دراسة في الاستعمار والتغير الاجتماعي السياسي ، ترجمة : سمير كرم ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، 1980 ،ط1 أيضا، حسان رمعون ، **الإستعمار، الحركة الوطنية والإستقلال بالجزائر: العلاقة بين السياسي والديني**، مجلة إنسانيات، وهران العدد45، أفريل1999، مركز البحوث في العلوم الإجتماعية، ص97– 98. كدلك:
Lahouari Addi : **De L'Algérie Précoloniale a L'Algérie Coloniale, Economie et Société**, ENAL, Alger 1985.chapitre 1.

انسجامه مع الساكنة الجزائرية، بخاصة إدا علمنا حداثة التجارب المدينية بالمجتمعات التي تعاقبت على الأرض الجزائرية – الوجود المحتشم لبعض الحواضر- ، والتي تعد في شكلها – الدولة الوطنية- الجديد المرتبطة خاصة باتساع رقعة النسيجين العمراني و الاجتماعي، تجربة حديثة تعود إلى النصف الثاني من القرن العشرين، والدي يمثل أول سياق سويسيو- تاريخي يحتضن المشاكل والأزمات الاجتماعية والسياسية الناجمة عن توسيع رقعة المدن وامتدادها أبجالي.[1]

بصفة عامة ، فقد شهدت العمارة الأوربية خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر حتى حلول القرن العشرين حركة دؤوبة في البحث عن الجديد وشحذ حالة الاستلهام في العمارة من الطرز الهياكل البنائية ، ومنهم من حاول إحياء طرز العمارة السابقة، كالفرعونية أو الإغريقية أو الرومانية أو حتى القوطية في طراز القوطي الجديد . وتمادى المختصون في بعض المناهج[2] التي امتزجت بعضها مع بقايا طراز لباروك أو الروكوكو " ، حتى تمخضت عنه طراز انتقائي يدعى" **الطراز الكولونيالي الاستعماري**" بسبب تزامنه مع المرحلة الاستعمارية التي ابتدأتها فرنسا في الجزائر سنة 1830 ، في هذه الفترة أدرك المعماريون انه من غير الممكن الاعتماد على الهندسة الرومانية و اليونانية، إنما عليهم النظر إلى المقومات العديدة المحيطة بالأبنية مثل المناخ والاحتياجات الحديثة التي لم يكن الفن الروماني واليوناني يأخذها بالحسبان. فكان هو الرد الجديد على أزمة الثقافة الانتقائية للقرن التاسع عشر وأدخلت أشكال رمزية للزينة النباتية فكان عمل النحات استعراضا واضحا لإمكانياته وعكست التجارب المحاكاة الحقيقية للطبيعة من مواد للبناء. فكان للعمارة كثير من سمات طراز لويس السادس عشر التحول الكبير الذي طرا على العمارة في بدايات القرن العشرين هو نتيجة التغيرات السياسية في

[1]-.Foura.Mohamed, **op-cit**, p31
[2] **Ibid_cit** p35

الأنظمة أدى إلى لجوء العديد من المعماريين الأوروبيون أمثال هوفمانHOFMAN و ALFRID الفريد مشيل.

كان نتيجة ما أوردناه أعلاه انتشار ما يسمى بالطراز المعماري الكولونيالي في الجزائر انطلاقا من القرن العشرين، تحديدا سنة 1958، وبعد الاستقلال 1966. وكان لنجاح الأسلوب الحديث آثار كبيرة في تكريس مبدأ القطيعة مع التراث، ففي العهد الأول من الاستعمار ركزا المعمرون على مدينة الجزائر حيث أقترح كوتورو Cottereau – وهو مهندس المدينة آنذاك– مخططا يقول عنه " حاولت أن أركز على التناظرات وعلى التوازن داخل المجالات معتمدا على محور رئيسي يتجه نحو فرنسا ... فهذه الأخيرة يجب أن تحافظ على هيمنتها في كل المجالات". و أستمر تشويه معالم المدينة وربطها بالمحور عن طريق عمران ذو نمط سلطوي أثناء فترة الإمبراطورية الفرنسية الثانية والتي عرفت تحولات هامة في ميدان العمران خاصة في الذي طبع مدينة هوسمان (Haussmann),عهد البارون باريس وبعض المدن الأخرى وتزامن ذلك مع إنشاء لجنة خاصة بدراسة تخطيط عمراني بمدينة الجزائر العاصمة عام[1] 1854.

وقد شجع هذا العامل على بروز نظرة جمالية للمدينة تطغى فيها العوامل الأساسية المحددة للفن المعماري الأوروبي، بعد أن كانت المدن القطرية الجزائرية ذات طابع مورسكي من الناحية السكانية، بسيطة في هندستها، خالية من الفن، وغير نظامية، ملتوية الشوارع اجتنابا لأشعة الشمس، تنتهي بدروب، ومن جهة ثانية منسجمة مع المجتمع الجزائري وخصوصياته الاجتماعية والأخلاقية،[2] فظهرت

1.J J.. Deluz :. **L'Urbanisme et L'Architecture D'Alger**, Office de Publication Universitaire, Alger ,p:12.

2- م . مكية: " **الحداثة و التراث –تأثير التنمية في العمارة و التخطيط العمراني** "، ندوة دولية اليمن ص:30ص: 25 ماي 1983 .

مباني فخمة تعبر عن قوة المجتمع الاستعماري وعلى تخطي البعد الحضاري للمجتمع الأصلي، فقد قام مشروع قسنطينة بتدمير كلي و اللاعودة إلى التقاليد، وكان محصلة ذلك تبني سياسة عمرانية استعمارية من قبل الماريشال (ليوتي Lyautey) في كل بلدان المغرب العربي .قامت هذه السياسة الاستعمارية على فكرة الفصل بين القسم العربي الإسلامي للمدينة والقسم الأوروبي منها، في محاولات للطمس و الاجتثاث، دون البحث عن أمكانية التأقلم مع المدينة الأصلية والأصيلة التي لا يتناسب أنشاؤها مع متطلبات المعمر الأوروبي. و في سنة 1900 أصبحت كل معالم المدينة توحي بأنها مدينة أوربية في مجملها .و في سنة 1931 جاء المخطط العمراني البلدي الذي استمر إنجازه إلى نهاية الحرب العامية الثانية ليعزز المسحة الأوربية للمدينة .فقد اقترح مرافق و استحدث شوارع واسعة وسط الأحياء التي كان يقطنها السكان الأصليين مما تسبب في تغيير معالمها و إفقارها من طابعها المميز و القضاء على الروح الخصوصية فيها. و قد تسبب ذلك في ترحيل آلاف العائلات من المدينة .و في هذا الشأن صرح غازاني Gazage –كان رئيسا لبلدية الجزائر آنذاك– ، عند افتتاحه لبعض مشاريع الإسكان بما يلي " إذا كان السماح بترحيل 20.000 ساكن جريمة، فإنني أقبل أن أكون المجرم" .[1]

أوجدت سياسة الاستيطان الاستعماري نتاجا معماريا هجينا بين المدينة الأوروبية والإسلامية وارتبط التخطيط المدني بالحالة الاجتماعية والاقتصادية لكل مدينة فمند 1830 وخلال 40 عاما دخلت فرق فرنسية وعملت على أربع مدن رئيسية وهي الجزائر ،عنابة، بجاية، وهران ومن ثم أصبح الاحتلال في الجزائر كاملا باستخدام القوة العسكرية فقام المحتل بتقسيم الأراضي والأملاك بين القبائل المنفصلة فشرعت مند أربعينات القرن التاسع عشر,توضع الخطط لتوسعه هده المدن القديمة الموروثة ولاسيما

Pierre Bourdieu : « **Sociologie de L'Algérie»** Ed, Presse Universitaires de France, Juin, 2010, P: 10.

[1] م مكية :المرجع السابق ص:15

الساحلية منها وبعض المدن الداخلية كقسنطينة واعتمدت على العمال المحصور عملهم مع العيش. كما اعتمد المحتل الفرنسي في الجزائر على الإقامة مشروع الحدود ودلك بتحديد مجال المدن القديمة، ومن ثم ربط مراكز المدن بقرى المحتلين الجديدة عن طريق إنشاء طرق جديدة وسكة حديد لإتمام عملية الربط، وفي عام 1840 تم خلق نقاط مركزية وجعلها كقاعدة للعمليات فضلا عن تامين خدمات تقنية ترتكز عليها هده المدن_حددت فيما بعد المهام التي يجب المباشرة بها من خلال مشروع أطلق عليه اسم مشروع " جوني " ويهدف إلى محاكاة واقع المدينة مع المخطط التنظيمي فبدا بالعمل على تخطيط البنية التحتية لمجاري المياه ووضع الفراش ألطرقي من نباتات وأشجار وعبدت الطرق وممرات المشاة ومن ثم انتقلوا إلى بناء الأسوار المحيطة بالمدن و جعلوا أبوابا لها.[1]

2 _ م مكية: نفس المرجع السابق ص:43

أما الظاهرة العمرانية البارزة التي صاحبت الاستقلال الوطني التي تتمثل في الهجرة الواسعة من الأرياف إلى المدن ودلك كنتيجة حتمية للأوضاع والظروف الناشئة عن أكثر من 7 سنوات من الكفاح الشعبي وعن132 سنة عن الاحتلال الاستيطاني وتتمثل بالخصوص في العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للسكان فمن نشوة الاستقلال عاد الكثير من السكان إلى قراهم التي وجدوها مدمرة فلم يلبثوا أن غادروها هذه المرة بمعظم إرادتهم متجهين مباشرة نحو المدن خاصة وان الوضع الحضري كن عامة مشجعا على دلك بسبب الشغور العقاري الكبير الناجم عن مغادرة السكان الأوروبيون للبلاد ، وقد تمت هده الحركة العمرانية والسكانية في جو من الحماس وبصفة عادية وطبيعية ودلك للمعاناة الطويلة والمضاعفة للسكان[1].

أما احتلال البنايات الشاغرة فهو الاستيلاء على البنايات التي خلفها المستعمر الأوروبي من فيلا وعمارات وبنايات أخرى ذات استخدامات مختلفة وتميز هدا النوع من الاستقرار بالاستقرار الجماعي آو عبارة عن عائلات قرابية ذات أصول جغرافية واحدة تتميز ببناء ونمط علاقات اجتماعية ريفية فهو تحول اجتماعي ريفي حضري والسبب يعود بالدرجة الأولى إلى روح التضامن الريفي أصلا والى التضامن والتماسك الاجتماعي القوي الذي ساد أثناء الثورة بين المساكن حيث وصل الأمر إلى اشتراك عدة اسر في مسكن أو بناية واحدة هذا ما أصبح يميز البناء الاجتماعي الحضري للمدن الجزائرية فيما بعد.

كما يرجع إلى الرغبة في إعادة شمل العائلة الجزائرية والحنين إلى الحياة الجماعية المألوفة في الريف والقناعة بالقليل وبناء علاقات اجتماعية وفق تصورات اجتماعية ريفية سابقة ومحاولة تكوين محيط اجتماعي ونفسي لا يختلف عن محيط النازحين منه الذي نجمت عنه عدة مشكلات اجتماعية خاصة

1 محمد بو مخلوف: **التحضر**,دار الفكر العربي ,ط الاولى ص:127

تلك المتعلقة بالمسكن وتقاسم المجال بعد التغيرات التي حدثت فيما بعد في العلاقات وأنماط استهلاك المجال

وهكذا فان احتلال مساكن الأوروبيون واليهود المغادرين للبلاد تم في بعض الحالات بمعدل2 او3 في مكان واحد والشقة ذات 3 غرف أصبحت تأوي من12الى16 شخص و بهذا تحولت البنية الاجتماعية الريفية بجميع مقوماتها وخصائصها إلى مراكز حضرية الأمر الذي أدى إلى الانفجار العمراني الحضري في اقل من عشرية من الزمن من القامة الحضرية والنزوح من المركز إلى الضواحي لمعالجة المشكلات الاجتماعية[1]

شكلت الزيادة الديمغرافية المرتفعة وتواصل النزوح الريفي الناتج عن تفقير الريفيين و اضطهادهم واستئصالهم أثناء الفترة الاستعمارية ، عدم توازن التنمية بين قطاع الزراعة و الصناعة في السنوات الأولى من الاستقلال ، الريف آنذاك لكل أنواع مرافق، التدفق البشري في المدن إلى تشبع سريع للمساكن يمكن قراءتها إحصائيا على النحو الآتي:

المخططون الذين كانوا يظنون إلى غاية 1969 أن الحظيرة السكنية التي غادرها الأوربيون غداة الاستقلال كانت كافية لامتصاص الفائض السكاني في المدن لم يخصص لقطاع السكن فيها في المخطط الثلاثي (1967_1969) سوى 2,72 من الاستثمار الشامل مقابل 60 المخصصة لقطاع المحروقات ، وفي 1969 أظهرت نتائج الإحصاء الوطني الأول للسكان والسكن بعد الاستقلال لسنة 1966 شاسعة الهوة بين الطلب و العرض للمساكن فالاستدراك النقص في العدد المساكن دعمت بقليل النسبة من الاستثمار الشامل المخصصة لقطاع السكن ضمن المخطط الرباعي الثاني (1970 _1973) إلى 5 ، لكن لم تكن هذه الحصة كافية لتغطية التكاليف نظرا للاحتياجات الضخمة للمساكن حيث

1_ محمد بومخلوف :نفس المرجع السابق ص:147

أصبحت أزمة السكن خانقة ذلك ما أدى إلى الاهتمام أكثر بقطاع السكن حيث أدرج كأولوية في المخطط الخماسي (1978_1982) إذ خصص له 60 مليار دينار ، أي ما يقارب المقدار الموجه للمحروقات وهو 63 مليار دينار جزائري ، لكن النقص الكبير للمساكن و تأخر انجاز المشاريع بسبب تضافر عدد كبير من العراقيل كانعدام التنسيق بين المعنيين بهذه الانجازات ومشكلة التضخم حال دون تحقيق الأهداف.[1]

أما سوسيولوجيا يمكن فهمها على النحو الآتي، أدت ندرة السكن إلى تفاقم البنايات العشوائية في هوامش المدن و قلت بكثير التحركات السكانية داخل المدن وارتفعت نسبة إيواء المساكن أن المسكن عنصر هام إن لم نقل هو أهم عناصر الإطار أو المحيط العمراني فحالته نتاج تفاعل وتقاطع عدد من خصائصه كعمره و طرازه ومكانه في المدينة وسعته مع خصائص المقيمين به كحجم الأسر و مستواها المعيشي والثقافي ومدة الإقامة فيه و درجة إدماجها في المدينة والحالة القانونية لحيازة مسكنها أن صيانة المسكن و الحفاظ على ابرز مميزاته في حالة المسكن ذي طراز معماري له قيمة تاريخية و جمالية أو تركه لحاله بدون الاعتناء به لتعبير صادق عن ملاءمته باحتياجات و نمط معيشة الأسرة أو العكس. ما يلاحظ في الجزائر أن هناك تدخلات شتى على إطار المبني في السنوات الأخيرة وذلك بعد فترة تخلي السكان عن صيانة المساكن و تجري هذه التدخلات وكان ما يهم من المبنى وحتى من المدينة سوى الجانب الوظيفي للمسكن أما الجوانب الأخرى كالناحية الجمالية و الحضرية للمبنى تبدو ثانوية.[2]

[1] محمد مخلوف: نفس المرجع السابق: ص48

[2] م.مكية: نفس المرجع السابق ص:38

كان نتيجة كل هذا في مرحلة ما بعد استقلال الجزائر عن فرنسا في بداية الستينات – ونتيجة لعدة عوامل –استمرار الإنتاج العمراني و المعماري في الاستمداد من ثقافة الغرب و قيمه، مع إهمال كلي لما تبقى من تراث. وهكذا باتت النسج العمرانية العتيقة للمدن تبدو مهلهلة ومحاصرة من كل النواحي بعمارة هجينة انتشرت بشكل متسارع في جسمها، مما أدى إلى فقد شبه كامل للهوية. و لم يجد المختصون بدا من الاستمرار في تقديم مخططات عمرانية وفق النظرة العالمية، مما جعلها تبدو وكأنها نسخا معدلة من الإنتاج الغربي الذي تعطى الأولوية فيه للوظيفة على وجه الخصوص .

وفي هذا الشأن يقول م.مكية " لقد عجزت أجهزة وهيئات التخطيط في سد الفراغ الكبير بين الجوانب الاقتصادية لمشاريع التنمية و التصنيع وبين الوجود ا لحضاري و مستلزماته وذلك لعدم وجود نظريات وأسس تخطيطية يعتمد عليها وانصاعت لما يظهر في البلاد البعيدة المستغربة " ومع بداية الثمانينات، بدأ يبرز تيار يطبع عمله توجه نحو العودة إلى ألذات والبحث في مكونات التراث بوصفه " تتابع التجربة والقيم الحضارية والاجتماعية و الدينية بين الأجيال، و التي منها تولدت معاني و قيم و هوية عمرانية ارتبط بها الإنسان " عن هوية المدينة الجزائرية، وذلك بغية المحافظة عليها وتطويرها إن أمكن ذلك .فلا يمكن لأي مجتمع أن ينجز تطورا صحيحا في معزل عن فهم القيم المتعددة، و المشار إليها سابقا[1].

[1] م.مكية:نفس المرجع السابق ص:47

المبحث الثاني:العمارة الكولونيالية في وهران:

ترجع مدينة وهران في نشأتها إلى أصول متباينة,فقد ساهم في تأسيسها جماعات بشرية مختلفة تعود إلى عهود غابرة تبدأ بالأمويين و الموحدين والمرينيين و الزيانيين وهو العهد الإسلامي الذي انعكس أثره على النمو العمراني للمدينة على طول الوادي حتى وصل إلى الساحل وفي تطور الميناء,وازدهار نشاطه التجاري إما في العهد الاسباني والتركي يتركز العمران في الساحل وفي الجانب الشرقي للوادي بصورة خاصة.

ازدادت أهمية المدينة استراتيجيا بعد الحملة الفرنسية,حيث اتخذت مقر لقيادة تلك الحملة,ومركز مهم للجيش الفرنسي حتى عام 1848 بحيث كانت جميع التغيرات التي طرأت على التركيب الداخلي في تلك الفترة كانت منشات عسكرية فقط وبعد ذلك أخذت بالنمو التدريجي حتى 1881 إذ استمر توسع المدينة خارج الأسوار بشكل واضح نحو الجنوب الشرقي مراعية بذلك جميع الجوانب الطبيعية و متطلبات الدفاع حتى حدث الانفجار السكاني و العمراني في بداية الخمسينيات مع امتداد طرق المواصلات الرئيسية و أصبحت مساحة المدينة تبلغ إضعاف ما كانت عليه قبل سنة1848 وظلت مستمرة في أسلوب نموها بعد السبعينات والى يومنا هذا وبشكل يظهر استمرار ظاهرة تقدم الحياة العمرانية فيها مصحوبا بنمو الوظائف و الخدمات المختلفة استجابة للزيادة السكانية الكبيرة

وبالتالي يكون توالي هده الجماعات البشرية على المدينة وهران ترك أثار على بنيتها و أصبحت المدينة القديمة مطوقة ببنية حديثة وشوارع واسعة مستقيمة ولم تعد الأسوار والحصون ضرورية مع تطور وسائل النقل و المواصلات واستمرت مدينة وهران محتفظة على أهميتها التجارية و الاقتصادية كجميع المدن الواقعة في الغرب فمدينة وهران وهي ثاني مدن الجزائر واكبر البلديات الجزائرية حاليا من حيث

عدد السكان انفردت بأنها لم تعان من أزمة السكن في السنوات الأولى بعد الاستقلال مثل أغلبية المدن الجزائرية نظرا للعدد الكبير للمساكن المهجورة من الأوروبيين والذين كانوا يشكلون أغلبية سكانها أثناء الفترة الاستعمارية ففي سنة1960 مثلا قدرت نسبتهم ب 51 الشيء الذي سمح بوصفها بالمدينة ذات الطابع الأوروبي أكثر من المدن الجزائرية الأخرى بما فيها العاصمة التي توصف بالمدينة المتوسطية اتسمت وهران بين 1962 و1964 وهي فترة شعور الحظيرة السكنية التي غادرها الأوروبيون بوفرة المساكن وحتى بعد 1964 سنة اتخاذ الدولة قرار تسيير هذه الأملاك,كانت نسبة كبيرة من الحظيرة السكنية متوفرة إذ بين 1966 و 1970 _ من الحظيرة السكنية كانت فارغة فسمح ذلك بالتحركات السكانية إلى وهران وداخلها و اختلطت الفئات الاجتماعية في نفس العمارات وتصرف السكان باللامبالاة تجاه المساكن وبعد مراعاة قوانين تسييرها ذلك ما أدى إلى تدهورها مثل ما كان عليه الحال في كل المجمعات السكانية الأخرى[1]

في سنة 1964 اتخاذ الدولة قرار تسيير "الأملاك الشاغرة "لترميمها نظرا لتدهورها اجبر سكان تلك المساكن بتسديد ديون الإيجار منذ فترة إقامتهم فيها ,فالكثير منهم غادر المكان لعدم قدرتهم على دفع ما تأخر من مبالغ الإيجار فالبعض رجع إلى منزله المتواضع في الأحياء الشعبية والبعض الأخر شيد مسكنا متواضعا على أطراف المدن كلف ديوان الترقية والتسيير العقاري بمهمة الترميم وهي مهمة جد عويصة'إذ 80% من مباني وهران كانت أنا ذاك متدهورة وفي حاجة ملحة لترميم سريع[2]

---

[1] **La Vie Municipale** n:56 / Archive De wilaya.Oran.p24

[2] Ibid p 25

دول2:عمر المباني بوهران في 1994 [1]			
فترة	**العدد**	**%**	**في أخر فترة**
1945_	34595	26,51	34595
1945_ 1966	26526	20,33	61121
1966_ 1973	14570	11,16	75971
1973_ 1977	1952	1,45	77643
1977_ 1988	12819	9,82	90462
1987_ 1994	40000	30,66	130462

[1] Pmu_D'Oran Et Oins

تخبط الديوان المكلف بالترقية والتسيير العقاري في مشاكل مالية وتسييري زاد في تعقيدها قدمها وعدم العناية للسكان بسكانهم و تأخير دفع ثمن الإيجار أو أحيانا عدم دفعها تماما ,كل ذلك حال دون تحقيق أهداف سياسة التسيير العقاري المعتمدة من 1964 إلى 1981.

في بداية الثمانينات قررت الدولة بيع جزء كبير من أملاكها لصالح القاطنين فيها بأسعار زهيدة وبتسهيلات كبرى في دفع ثمن الشراء كي يقومون بتحسين مساكنهم ولم يحتفظ هذا الديوان بوهران سوى ب30% من الحظيرة العقارية اغلبها في حالة يرثى لها حيث كانت تتطلب عملية ترميمها وأموالا ضخمة لم تكن في حوزته بسبب عدم دفع ثمن لإيجار من طرف كثير من المستأجرين بما في ذلك بعض الشركات الوطنية حيث قدرت ديون المستأجرين سنة1990 ب 20 مليار دينار[1]

سمح قانون تنازل الدولة عن أملاكها هذا بتحرير مبادرات الملاك في تغيير المساكن قصد تكيفها باحتياجات ونمط معيشة الأسر وهذه التصرفات انعكست في الغالب سلبا على نوعية الجو الداخلي للمسكن حيث إضافة الغرف أو تكبيرها على حساب الشرفات قللت الإضاءة والتهوية الطبيعية وعلى المنظر العام للمدن حيث لم ينل السكان بنتيجة هذه التدخلات على الطراز المعماري للمبنى وكذلك لم يجعلوا في الحسبان التنسيق ما بينهم في شكل نوافذ الجديدة وحتى ألوانها وأصبحت هذه الأخيرة مجال لتجفيف الملابس بعد إن حولت وظيفة الشرفات إلى وظيفة أخرى كغرفة للنوم أو للدراسة أو لطهي الطعام ,وحلت كذالك جزئيا أو كليا الوظيفة التجارية محل الوظيفة السكنية في الكثير من المساكن.

[1] **Habitat Et Urbanisme** : Archive Wilaya d, Oran ; 1953 n ; 34 p :10

حاليا لم تنتج سوى بعض منازل ألمحدودي الدخل أو منازل كثيرة الو رثاء من هذه التدخلات حيث في غالب الأحيان لا يعتنون بهاو تماما فتتدهور آما المساكن الأخرى بكل أنواعها وطرازها تعرف تغيرات مرفولوجية[1]

[1] Zabbouri :Bachir-Bouiadjia ;**Les Influences Socio Spatiales de la Cession Des Biens de l .Etat au Centre Ville** d .Oran Mémoire ;ING. Géographie .univ oran1992

خاتمة:

إن تأثير العمارة الكولونيالية يظهر من خلال تأثر الهوية المعمارية المحلية في الجزائر وتحديات التغير التي واكبت هذا التأثير فقد كان لهذا الطراز مراحل ونظريات ومصممين اختلفت اتجاهاتهم خلال قرون متعاقبة من اجل إبراز العلاقة بين العمارة والمجتمع اضافة إلى أن هذه المرحلة تعطي أسباب موضوعية لانقطاع بين المجتمع المحلي والعمارة

فتجسيد المستعمر للعمرة الكولونيالية في الجزائر كان هدفه طمس الهوية المعمارية الإسلامية للبلاد في شتى المجالات الثقافية ,الاجتماعية,الاقتصادية باستعمال أساليب أوروبية لبناء المساكن والمرافق العامة والعسكرية

مقدمة:

يعتبر السكن ضرورة حتمية كونه محمية يلجا إليها الفرد تفاديا للظروف الطبيعية و من الناحية السوسيولوجي يتعدى هذا المفهوم إلى انه بنية تتجسد فيها العلاقة بين الساكن و السكن هذا بالنسبة للفضاء الداخلي أما الفضاء الخارجي للسكن هو كل ما يحتويه محيط البيت,وهو فضاء ثاني يتيح للفرد الشعور بالانتماء إليه كما هو الحال بالنسبة للفضاء الداخلي لكن بنسبة متفاوتة وباعتبار حي سيدي البشير يتوسط مدينة وهران ويحتوي على عدد كبير من السكنات شغلها عدد كبير من الأسر الجزائرية إضافة إلى احتوائه على كل التجهيزات و الخدمات الضرورية هذا ما يجعله يشهد إقبال كثافة سكانية كبيرة من مختلف المناطق وكل له تعبير خاص عن مفهوم المسكن الكولونيالي.

لأجل هدا قمنا بتقسيم هدا الفصل إلى مبحثين اثنين، أما المبحث الأول تناولنا فيه الدراسة المونوغرافية للحي للتعرف على موقعه و خصائصه والمبحث الثاني يخص التحليل الكيفي للمقابلات لاستخلاص النتائج.

المبحث الأول:

الدراسة المونوغرافية لمجتمع البحث:

حي سيدي البشير _البلاطو_ هو من الأحياء الشعبية الوهرانية ومن الأحياء القديمة فيها التي تعود إلى العهد الاستعماري الفرنسي وهو يتوسط المدينة،يحده شمالا _سانت ببار_وجنوبا ألحمري وغربا المدينة الجديدة وهو معروف بنقطتين هامتين تجعله يشهد حيوية دائمة هما محطة القطار التي تقع شرق الحي (انظر الصورة رقم:5_4)و المستشفى الجامعي الذي هو في قلب الحي و يعود تاريخ الشروع في بناء الحي إلى 1888 وقد كان يسمى بحي الطواحين نسبة إلى الطاحونة التي كانت بيه هو حي برجوازي سكنه الأوروبيون و الطبقة الراقية من الفرنسيين فمعظم البنايات الموجودة ذات النمط الأوروبي إذ لم نقل كلها.

وفي فترة الستينات أي بعد الاستقلال بدا السكان الأوروبيون يهجرونها متوجهين إلى فرنسا و البلدان الأوروبية الأخرى هذا ما جعل معظم السكان ينزاحون نحو هذا الحي و الأحياء الأخرى و الإقامة في المساكن الشاغرة التي تركها المستعمر، فأصبحت التجمع الحالي للمنطقة إلى إنها ظلت محتفظة بشكلها الهندسي الأوروبي تكثر بها و النوافذ و الشرفات و تتجزأ في معظمها إلى غرف أما النمط السكني للحي يتميز بنطاق الوسط ويشغل هذا النمط منطقة المعمورة الأوروبية بحيث ترجع مباني هذه المنطقة إلى أوائل القرن العشرين بسبب ازدياد هجرة الأوروبيين إلى وهران بإعداد كبيرة لم تشهدها المدينة في أي فترة سابقة ذلك بسبب استبدال الإدارة العسكرية بمدنية حسب القرار الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في 24 أكتوبر 1870 وقد كان لهذا القرار أثره الواضح في نمو العمران في هذه المنطقة على النمط المناسب لهؤلاء المهاجرين والتي لاتزال محتفظة بشكلها حتى الآن وتتكون أغلبية المباني الحي من عمارات ذات أسقف عالية ونوافذ مرتفعة (انظر الصورة رقم:3-2)و هي تتميز بعدة مواد بنائية متينة استخدمت فيها أثناء إنشائها ك الحجر المنحوت و الأجر والحديد ولم يعرف بعضها الاسمنت المسلح إلا في الربع الأول من

القرن العشرين وتتميز معظم مباني النمط الأوروبي بغرف عالية و متراصة انعدام الباحة الداخلية ووجود نوافذ على الشوارع.(انظر المخطط رقم 4-3)

كما يحتوي هذا الحي على مجموعة من المرافق و الخدمات المتمثلة في تجهيزات صحية,إدارية,وأمنية المتمثلة في قسم الشرطة الحضرية الذي تم تدشينه 1935 إضافة إلى الحماية المدنية والدرك الوطني التي تشغل أكثر مناصبها ساكنة الحي,إضافة إلى الخدمات التعليمية التي تشهد تطورا مستمرا في الحي وهو متكامل من الروضة وصولا إلى الثانوية وما لاحظناه من خلال الدراسة الميدانية أن اغلب السكان موظفون في قطاع التعليم فالملاحظ هنا أن الوظيفة عامل مهم يستقطب الحركة السكانية إلى الحي إضافة إلى توفر الحي النشاط التجاري المتنوع ومحطة القطار ومستشفى ما يخلق حيوية للحي وما لاحظناه من خلال الدراسة الاستطلاعية للحي أن القليل من الساكنة من تقتني حاجياتها من خارج الحي كونه يحتوي على ضروريات وكماليات العيش.

المبحث الثاني:

التحليل الكيفي للمقابلات:

مناقشة الفرضية الأولى: جاءت الفرضية المقترحة على النحو الآتي:

التنافر بين المعمار الكولونيالي في تصميمه وممارسة الساكن يعود لأسباب بنيوية ضمن المجتمع التقليدي – ديموغرافية– اقتصادية –ثقافية واجتماعية.

تبرز نتائج التحقيق الميداني، أن التنافر المقترح في فرضياتنا بين العمران والساكنة من حيث الممارسة تؤكده كل من متغيرات – الديموغرافيا،الإقتصاد، الثقافة والإجتماع، يمكن توضيحه وتأكيده من خلال ما صرح به المبحوثين على النحو الآتي:

العامل الديمغرافي: يعتبر ضيق المسكن من العوامل المؤدية إلى التغيير في المسكن كزيادة حجم الغرف وهذا ما صرح به احد المبحوثين"قسمت الصالة وزدت دار كان الضيق عليا بزاف"المقابلة رقم9 كما ذهب البعض الأخر إلى إلغاء الجزء الخاص بالشرفات للزيادة في حجم الغرف "بلعنا ليبالكو راجلي قال دايين البلاص باطل"المقابلة رقم3

العامل الاقتصادي:من خلال ما صرح به المبحوثين وجدنا أن كثير من الأسر اقتصرت تدخلاتهم على المسكن على تعديلات طفيفة حيث أدلى احد المبحوثين"ماعانديش باش نبدل غير بنترت برك وبدلت البلانفو في جال الميديتي"المقابلة2

العامل الثقافي:جاءت مختلف ساكنة الحي من مختلف المناطق حضرية وريفية فكان لهذا الخير تاثير واضح على المسكن كما ادلى احد المبحوثين"هديت وكبرت الحالة لاخطرش زوجت أولادي وسكنتهم معايا"المقابلة رقم1هذا ما يوضح انتقال نموذج الأسرة الممتدة إضافة إلى أن عامل الحرمة كان له تأثير واضح على المسكن من خلال أقوال المبحوثين يظهر من خلا إلغاء الشرفات،عزل قاعة الاستقبال عن باقي أجزاء المنزل وهذا ما أدلى به المبحوث 5"بلعت الصالة و درتلها باب"

العامل الاجتماعي: أولا:صورة المسكن الكولونيالي لدى الرجل

هناك لاختلاف الملحوظ بين الساكن الجزائري و الساكن الأوروبي فهو لا يراعي تموضع المراحيض من حيث وجهتها إذ قامت عدة اسر بتحويل وجهتها المنافية لتعاليم الدين أي على عكس القبلة كما ورد في قول إحدى المبحوثين"إنا بدلت البوزيسيو ناع التوالات وبدلت الباب تاعها" إضافة إلى إضافة الشبابيك الحديدية إلى بعضها وهذا للحفاظ على امن الأسرة ونجد من جهة أخرى عامل أخر وهو تحويل جزء من المسكن إلى محل تجاري"إنا هدمت الشومبرة إلي تحت و رديتها حانوت يخدم عليا"

ثانيا:المرأة الجزائرية داخل المسكن الكولونيالي

من خلال المقابلات مع الإناث نجد أن هناك من اجرين تعديلات طفيفة على المسكن"غيرت غير حاجة خفيفة برك الكالاج و البنتورة على حساب الوقت" المقابلة 7 في حين نجد منهن من أغلقن الشرفات حيث جاء في المقابلة رقم 3"كان عندي لبالكو و راجلي بلعهم وزيد مكانش قاع يخليني نحلهم" من هنا يتضح أن كثير من النساء تكيفن مع المسكن الكولونيالي سواء عن طريق تعديلات طفيفة على المسكن أو تغييرات قام بها الرجل دون تدخل المرأة

ستنتج من خلال العرض أعلاه أن إذ يتأثر المبنى الكولونيالي بدرجات متفاوتة حسب المتغيرات التي حددناها، يأتي في ألها العامل الديمغرافي، يليها العامل الثقافي ثم بعدها العامل الاقتصادي ثم النوع الاجتماعي .

مناقشة الفرضية الثانية:جاءت الفرضية المقترحة على النحو الآتي:

– إعادة صياغة الفضاء السكني – توسعة غرف الاستقبال، غرف النوم، المطابخ على حساب الشرفات ضم مدارج السلالم كامتداد للمساكن– هو شكل من أشكال التكيف بصورة مشوهة.

أكد التحقيق الذي قمنا به مع الساكنة، شكل جديد من أشكال التكيف يؤكد تشويه المباني الفرنسية، يشهد على دلك المعطيات التالية، والتي سنوردها حسب ما أدلى به المبحوثين في النقاط التالية: الفضاء الداخلي للسكن، الغرف،غرفة الاستقبال المطبخ، وبعض التعديلات والتحويلات الأخرى:

أولا: الفضاء الداخلي للسكن: إن علاقة الساكن بمسكنه تختلف من ساكن إلى أخر باختلاف التنظيم الفضائي للسكن حسب تصوراتهم وتمثلاتهم إذ تعتبر بوشا نين إن الفضاء السكني ينقسم إلى مجالين ,الأول يضم قاعة الضيوف وهو **مرئي** إذ يطلق عليه اسم "الصالة " وهو مخصص للأهل والضيوف ,إما المجال الثاني فهو خاص بالمرأة تتحرك فيه بكل حرية يمنع على الرجال دخوله احتراما له ولحرمة المرأة وهو يضم غرفة النوم و المطبخ وهو **مجال غير مرئي** هذا التقسيم ناتج عن تصورات الساكنة وهو ضروري يحافظ على حميمية الحياة العائلية.

باعتبار هذه الغرف مخصصة لإفراد الأسرة,فمعظم السكنات تتميز غرفها بالبساطة في تجهيزها,ليس كما هو الحال لقاعة الاستقبال,إذ لاحظنا إن كل أسرة تحاول إن تجعل من مسكنها مجالا يتوفر داخله أهم شروط الحياة العصرية لكن بصورة متفاوتة يتميز هذا النمط السكني بغرف عالية ومتراصة وانعدام الباحة الداخلية ووجود نوافذ على الشوارع ومعظم السكنات تتميز بوجود 3 غرف أو 4 أما تقسيمها فيعود إلى أصحاب البيت كما جاء في احد المقابلات"كان عندي صالة وكوزينة برك قسمت الصالة وزدتها وشمبرة لوالدي" تحتوي هذه الغرف على خزانة عادية للملابس وحاجيات لأفراد الأسرة

إذ نرى بعض الغرف نوافذها تطل على نوافذ الجار المقابل مباشرة في معظم العمارات,إذ تتضايق المرأة خاصة في الصباح عند تهوية الغرفة بفتحها للنافذة إذ تعبر لنا إحدى النساء عن تذمرها لهذا الوضع"يليق كي نحل النتاقة الصباح مانوليلهاش حتى نبلعها باه ما نبانش للجوارين"المقابلة (7) وهذا نظرا لحرمة و مكانة المرأة حتى تكون بعيدة عن أنظار الغرباء

ولكن البعض الأخر يؤيد هذا الوضع للنوافذ إذ تراها المرأة وسيلة اتصال بين جاراتها"تعجبني هذه التاقة مين كون مسحقية جارتي نعيطلها غير منا ونسقسي عليها"وبذالك تكون النوافذ اداة توطيد العلاقات بين الجيران وأخرى تراها مصدر للتهوية"الصباح كي نحل البالكو نبغي نشم هذيك النسمة النقية" م2 حيث يؤكد (rapporta)"شكل النوافذ وتموضعها هو الأهم

ثانيا: غرفة الاستقبال:بما إنها الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف و والجيران يفضل إن تكون واسعة في اغلب الأحيان ولو على حساب الفضاء الداخلي للسكن وفي اغلب العينات يحتوي هذا الجزء من المسكن على تلفاز أواني فخارية صور تذكارية

إذ نلاحظ حرص الأسرة على اختيار أجود الأثاث و أفخمها مقارنة بالغرف الأخرى ولكن الأخر فضل إن تقسم مساحة قاعة الاستقبال للحصول على غرفة إضافية نظرا لكبر حجم الأسرة"نقصت من الصالة وزدتها شومبرة لولادي"المقابلة 3 ومن الملاحظ إن تموقع هذا الجزء عند باب المسكن وفي هذا الصدد قالت إحدى المبحوثات"هاكة مليح باه الضيف يدخلو من الباب لالصالة" وذلك للحفاظ على حرمة المسكن كما توضع في غالب الأحيان الستائر عند الأبواب لتحجب تحرك المرأة داخل المنزل إذ يذهب بعضهم إلى غلق باب قاعة الاستقبال لتكون بعيدة عن الممارسات اليومية

ثالثا: المطبخ: هو فضاء خاص بالمرآة تجهيزاته تقتصر على أدوات المطبخ وهو مجال في غالب الأحيان يكون غير مرتب لديمومة الحركة به ولجا البعض إلى غلقه ليكون محجوبا عن باقي أجزاء المسكن كونه خاص فقط بالمرأة"بلعت الكوزينة ودر تلها بوطاجي كبير ماشي كيما كانت لاسقتلي مع الصالة"

رابعا التعديلات الأخرى: هي عملية ترميم وصياغة لتحسين حالة المسكن إذ مست هذه التعديلات ترميم السقف وصيانة المطبخ و الحمام إضافة إلى طلاء المسكن والأبواب والنوافذ كما جاء في احد المقابلات "هاذو الديار تاع فرنسا رشاتهم الرطوبة يليق خطرة على خطرة يتبنترو ونسقدو السقف"المقابلة7

خامسا التحويلات:هي تدخلات يقوم بها الساكن للبنية الداخلية للفضاء السكني بهدف توسيعه ويعتبر هذا التغيير لعدم تأقلم الساكن مع سكنه الجاهز,وعدم تأقلم رغبات الفرد مع فضائه وهو ما يسمى بأزمة ملكية الفضاء إذ اتضح من خلال البحث الميداني إن 6 اسر من العينة قامت بتحويلات على مستوى سكناتها على غرار4 اسر التي كانت تدخلاتهم طفيفة على مستوى فظاءاتهم الداخلية كل حسب تصوراته

وبالتالي فإن نماذج التشويه واضحة من خلال ما صرح به المبحوثين أعلاه، مبررة بعدم التلاؤم حسب كل حالة من الحالات أعلاه، والجدير بالذكر أن مسألة التشويه التي إصطلحناها في دراستنا هده تبدو بديهية مقارنة بقدم تلك المباني وإن كانت مبررة في تحقيقنا بعاملي الاقتصاد والإجتماع، كما أكدنا عليه في الفرضية الأولى.

مناقشة الفرضية الثالثة: جاءت الفرضية المقترحة على النحو الآتي:

– الملكية المشتركة في أوساط الجزائريين تعني اللامسؤولية الإجتماعية المشتركة التي تقع على عاتق الشاغلين.

من خلال الدراسة الاستطلاعية اتضح لنا ان الساكنة تتعامل مع الاجزاء المشتركة كاخر اهتماماتها فيما يخص السلم و البهو وهذا ما يوضحه المبحوث رقم5 "مل الميديتي الدرج قاع رشاو وكل واحد ولاهي في روحو" واخر يقول "انا مرانيش قاعد هنا ماعندي مانصنع"المقابلة رقم2

فما لاحظناه ان التغييرات حدثت للمسكن فقط في مقابل إهمال الأجزاء المشتركة التي هي فضاء مشترك بين الساكنة داخل العمارة

يتضح لنا مما ذكرناه من استجوابات المبحوثين ، أن الساكنة بحي سيدي البشير يخضعون للنمط التقليدي الذي لايمكن المرور عليه دو ن تقيم بعض الإيضاحات فيما يخص عينة بحثنا وهي كالتالي:

نلاحظ من خلال عينتنا تباين في الأصول الجغرافية لدى سكان الحي وهذا نظرا للحركة السكانية التي عرفت بعد خروج المعمرين و تركهم للسكنات الشاغرة سكنتها اسر جزائرية تختلف أصولها ما بين الريفي و الحضري هذا ما نلاحظه من خلال جدول البيانات الشخصية، كما إن هناك اسر سكنت الحي بعد الاستقلال 1963 كونها من فئة المجاهدين استفادت من هذه الفضاءات السكنية كما صرح احد المبحوثين"هاذي سكنت بويا كان مجاهد وأنا ورثتها عليه"المقابلة رقم 8. و من خلال المعاينة الميدانية يعرف حي سيدي البشير حركة سكانية إلى يومنا هذا، نوضحه في الجدول التالي:

الفئات(السنوات)	التكرارات(العينات)
(77_63)	3
(91_77)	1
(2004–91)	6

الجدول رقم : (2)**الحركة السكانية لسيدي البشير**

هده المعطيات أعلاه المتأثر طرديا بالجانب الإثني للعائلات، كانت نتيجتها اللامبالاة بمسألة الأجزاء المشتركة بخاصة السلالم والمدخل الرئيسي والبهو، أو كونها لا تعنيهم بل تعنى سلطة الدولة – البلدية- يعبر لنا هدا عن غياب المبادرة الفردية ضمن المجتمع المدروس كما يؤكد لنا أيضا غياب الروح الجماعية للمجتمع المدني.

خاتمة

باعتبار هذا الحي مجمع عمراني كولونيا لي يتوسط مدينة وهران والتي تعتبر مركز حيوي هام كونها عاصمة الغرب ,واحتوائها على سكنات شاغرة بعد الاستقلال,فقد عرف الحي تحرك سكاني من مختلف المدن الجزائرية والمناطق الريفية منذ الاستقلال إلى حد الآن كون هذا الحي عنصر جذب

وبامتلاك الجماعات لفضاءات سكنية جاهزة كان لابد منها من التكيف معها والتأقلم مع الحياة الحضرية وتعود على العيش داخل هذا الفضاء السكني ذو النمط الأوروبي,وهذا بتهيئته وتنظيمه مع الهوية والثقافة التي يحملها الساكن بالإضافة إلى مستواه المادي فتنظيم الفضاء السكني ما هي إلا خلفية لتصورات الساكن ليلبي من خلال احتياجاته الأساسية والاجتماعية في ظل الممارسات اليومية كي يتكيف مع فضائه

إذ من خلال التصريحات وممارسات الساكن داخل فضائه السكني نلاحظ عدم تكيفه النسبي مع هذه المساكن الجاهزة وذلك من خلال مثلا مقابلة النوافذ لبعضها البعض والتي تعيق حركة المرأة ,ووضع الستائر عند باب قاعة الاستقبال لحجب حركة المرأة من اجل الحفاظ على حرمة المسكن

بالإضافة إلى التجاوزات اللاقانونية التي عرفتها المساكن لهذا الحي كزيادة حجم قاعة الاستقبال والربط بين الغرفتين وكل هذه التحويلات دليل على عدم توافق الفضاءات السكنية ذات النمط الأوروبي مع ثقافة وتصورات الساكن الجزائري فتبقى الممارسات داخل المسكن الكولونيالي من طرف الجزائري تهدف إلى التكيف داخل أجزائه لمغايرة لتصوراته، وهي في رأينا شكل من أشكال البداوة والمقنعة كشكل من أشكال التسكن الهوياتي بتعبير عبد القادر لقجع، من جهة المجتمع ، وإهمال المصالح المعنية للصورة الحضرية لمدينة وهران.

الجداول:

الرقم	العنوان
1	عمر المباني بوهران
2	الحركة السكانية في سيدي البشير

المخططات:

الرقم	العنوان
1	موقع حي سيدي البشير من مدينة وهران
2	نموذج لمسكن كولونيالي
3	مخطط للدور الاول في مسكن كولونيالي
4	مخطط للدور الثاني في المسكن الكولونيالي

الصور

الرقم	الصورة
1	منظر خارجي لحي سيدي البشير
2	النمط العمراني لحي سيدي البشير حاليا
3	حي سيدي البشير اثناء الاحتلال الفرنسي
4	النمط العمراني لمحطة القطار في سيدي البشير
5	تاثر العمران الكولونيالي بالعنارة الاسلامية

صورة رقم2 :لنمط العمران الاوروبي لحي سيدي البشير حاليا

صورة رقم3: لحي سيدي البشير اثناء الاحتلال الفرنسي

صورة رقم4: تبين نمط العمران الاوروبي لمحطة القطار بحي سيدي البشير

صورة رقم5: تمثل تاثر العمران الكولونيالي بالعمارة الاسلامية

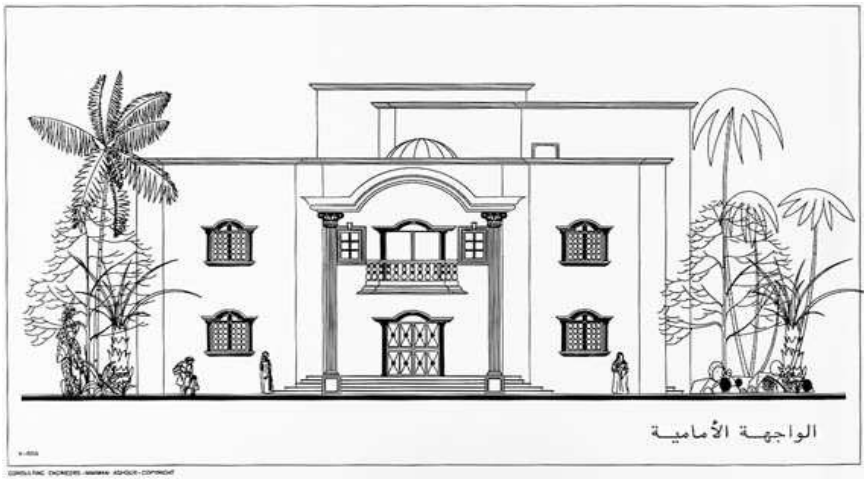

المخطط رقم:2:نموذج لمسكن كولونيالي

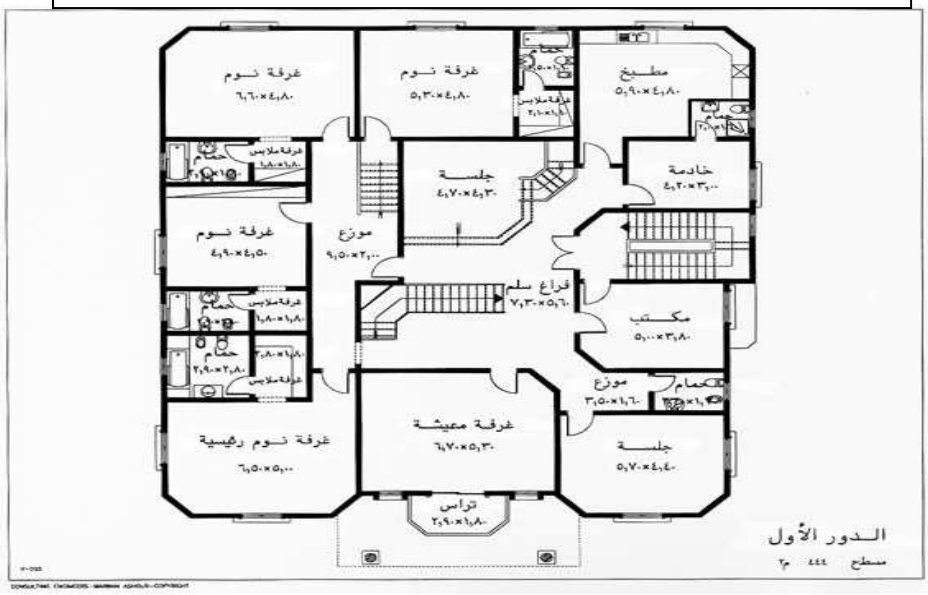

المخط3:الدور الاول

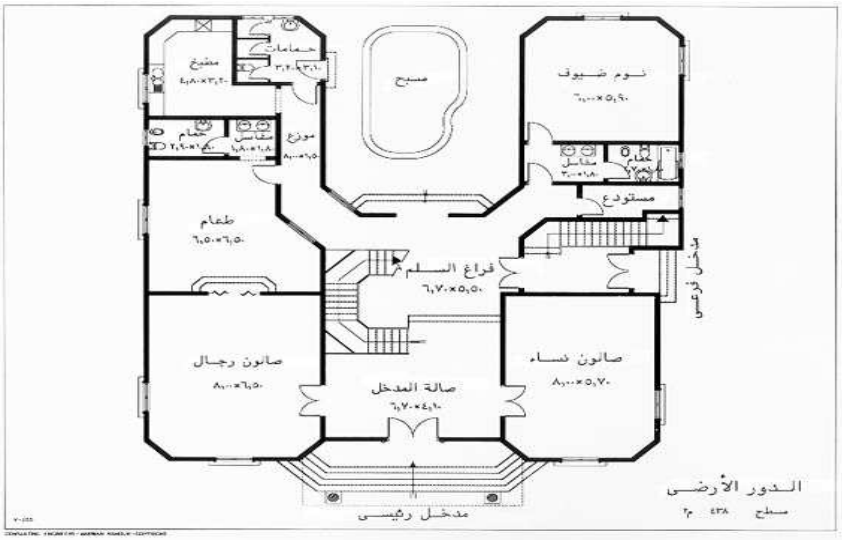

المخطط 4 :الدور الارضي

مخطط1: لموقع حي سيدي البشير من مدينة وهران

دي

1- صورة خارجية لحي سيدي البشير

نتائج الدراسة

لقد طرحنا في الايطار النظري إشكالية العمارة الكولونيالية في الجزائر التي فرضت هويتها على المحيط العمراني التي هي نتاج لنظريات و اتجاهات بعض المصممين الذين حاولوا الدمج بين المجتمع و العمارة,حيث نرى هذا من خلال بدايات هذه العمارة في الجزائر التي شملت المراكز العسكرية من اجل الإسراع في الاستهلاك لتنتقل فيما بعد إلى المنشات المدنية من اجل استقرار المعمرين فبنو عمارة منتظمة ومتناسقة النسب الغت تماما العمارة الجزائرية كما استنتجنا من الدراسات السابقة حول الموضوع إن المساكن التي شيدها المستعمر كانت على أساس العامل الطبقي فتنوعت أشكالها وأحجامها , ليغادرها المعمرون فيما بعد فذهبت دراسات أخرى آن استغلال الشغور العقاري وأشكاله يبقى مرتبط بالمعايير الثقافية للمجتمع لجزائري .

من خلال دراستنا الميدانية حاولنا الكشف عن المسكن الكولونيالي كفضاء للتعايش وحي سيدي البشير كفضاء للإقامة من خلال دراسة مونوغرافية للحي والقراء الكيفية للمقبلات التي أجريناها مع سكان الحي توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

_استغلال المساكن الكولونيالية كان بطريقة عشوائية دون أي اعتبار للجانب الاجتماعي للساكن

_التغييرات التي حدثت داخل المسكن الكولونيالي لكبر حجم الاسرة

_بعض المساكن لم تتعرض للتغييرات من اجل الظروف الاقتصادية للاسرة

_استغلال الساكنة للمسكن الكولونيالي بطريقة تقليدية

_التجهيزات المختلفة التي يحتويها الحي من السباب توافد الساكن إلى الحي منذ الاستقلال إلى يومنا هذا

– اختلاف الساكنة من حيث الأصول الجغرافية فتعددت مناطق إقامتهم الأولى واختلفت من الريفي إلى الحضري وهذا ما نتج عنه الامسؤولية الاجتماعية اتجاه الملكية المشتركة

_اختلفت أسباب مجيء الساكنة إلى الحي بين الاختياري وبين السبب الوظيفي

كما أننا حاولنا في بحثنا إن نتجاوز مفهوم السكن الجاف إذ سلطنا الضوء على علاقة الساكن الجزائري بفضائه السكني الجاهز و الهندسة المعمارية الأوروبية من منطلق الأسرة النووية لمعظم سكنات الحي, فكانت ردود أفعالهم اتجاه فظاءاتهم الداخلية, معبرة عن ما يعرف بأزمة تملك الفضاء وذالك من خلال تدخلاتهم على هذا الفضاء لقد لاحظنا أن معظم ساكنة الحي كان تكيفها مع المسكن ضروريا لعدم امتلاكها الوسائل المادية من اجل التغيير في المسكن والبعض الأخر كان السبب في التغيير هو كبر حجم الأسرة وضيق المسكن الكولونيالي في حين أن هناك من الساكنة من غيرت في المسكن لعامل الحرمة بإلغاء الشرفات والى غير ذالك

كما توصلنا في الأخير إن التغيير في المسكن لا يقتصر على الكولونيالي فقط بل أصبح يشمل المساكن المنجزة حاليا من قبل الدولة وهذا ما يلغي عدم ملائمة المسكن الكولونيالي ويعكس رغبة الجزائري المتواصلة في التغيير التي أصبحت في الوقت الحالي مرجعية ثقافية.

قائمة المراجع

اولا:باللغة العربية:

1-المصادر:

1_ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار الجيل، الجزء الأوّل

المراجع:

1- جغلول عبد القادر: **مقدمات في تاريخ الجزائر القديم والوسيط**، ترجمة: فيصل عباس، بيروت ، دار الحداثة للنشر والتوزيع، ط2 ، 1988

2- لزرق مغنية، **نشوء الطبقات الاجتماعية في الجزائر** : "دراسة في الاستعمار والتغير 5_الاجتماعي السياسي ، ترجمة : سمير كرم ، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية ، 1980 ،ط1

3- صبور احمد، **المعرفة و السلطة في المجتمع العربي** ، مكتبة الحياة,بيروت,1959

ثانيا:المعاجم و الموسوعات

1- ابن منظورا: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، المجلّد الثالث عشر، دون تاريخ

2-- زكي بدوي احمد، **معجم مصطلحات الرعاية و التنمية الاجتماعية**، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1،.1997

3- غيث محمد عاطف، **قاموس علم الاجتماع**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

4-:شيخ رضا احمد، **معجم فن اللغة**، مجلد2، مكتبة الحياة، بيروت، 1959،

رابعا :المجلات والدوريات

1- جاردي رفعت، **اشكالية العمارة و التنظير البنيوي**، في مجلة الفكر ،العدد03

-2 - صحراوي بديعة بالعابد, **السياسة البلدية و الممارسات الحضرية لمدينة قسن طينة في القرن التاسع عشر** " ، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، العدد المزدوج 35-36 أكتوبر-ديسمبر 2008، وهران

3- بن جليد عابد، " **كيفيات الاندماج الاجتماعي في سيرورة التنظيم الحضري بالبلدان المغاربية- حالة مدينة وهران-** "، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، العدد 42 أكتوبر-ديسمبر،سنة 2008، وهران،

4_التايب عائشة، " **التحولات الحضرية بمناطق الإستغلال المنجمي بالمغرب العربي- المناطق المنجمية بالجنوب التونسي مثالا-** " ، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، العدد 42 أكتوبر-ديسمبر،سنة 2008، وهران، ص 31-59.

5_حسان رمعون ، **الإستعمار، الحركة الوطنية والإستقلال بالجزائر: العلاقة بين السياسي والديني**، مجلة إنسانيات، وهران العدد45، أفريل1999، مركز البحوث في العلوم الاجتماعية

6-لقجع عبد القادر, **السكن الهوياتي ,طرق امتلاك الفضاء السكني بالوسط الحضري وهران** " مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، العدد 2 خريف 1997،وهران،

باللغة الأجنبية:

أولا: الكتب

1_Icheboudene. L : « **L'integration Citadine : A Propos De La Difficulte D'etre Algerois** ». In_christophe. G(2002). « Alger, Tunis : Lurbqnisqtion Europeenne Sur La Les Rives Soudes .

2- Olivier Mangin : « **La Condition Urbaine, La Ville A L'heure De Mondialisation La»** Edition Du Seuil, Paris, 2005.

3_Sapir, Edward, ***Anthropologie***, Traduit Par Chr. Bau Delot Et P. Cliquart, Paris, Editions De Minuit

4_Michel Ellenic « **Systeme Politique et Modeles Urbains au Maghreb** » : Systeme Urbain(1983).

5_ Houari Adi : **De L'algerie Precoloniale A L'algerie Coloniale, Economie Et Societe**, Enal, Alger 1985.Chapitre 1

6_Bourdieu Pierre : **« Sociologie De L'algerie»** Ed, Presse Universitaires De France, Juin, 2010,

7-Dalimane-**Developpement Au Maghreb**. Collectif. O.p.u. Alger. 2002

8-. p. panerai, Et Autres**, Elements D'analyse Urbaine** Edit Dunod Paris 1978

ثانيا :الأطروحات

1-. J .j. Deluz **L'urbanisme et L'architecture D'alger** Opu Alger 1988

2_Asya. Bendeddouch. **Les Nouvelles Zones D'habitat Collectif Dans Les Grandes Villes** .Le Cas D'ORAN/MAGISTERE .Urbanisme, Universite Usto.Oran

ثالثا :المجلات

1-Karbas.Moucheikh**, Analyse D'une Ancienne Cite De Recasement en Transformation**/Petit Lac Oran D.E.S.Geog Universite D'oran.1983

2-. W.Manuel Menouar/L **Pour La Conservation Du Patrimoine Architectural Mineur In**. Recueil Des Actes Du Seminaire International Biskra 14-16 Nov 2000

3« La Ville Dans Touts Ses Etats ». Revue Reflexion. Casbah. 1998

رابعا:ارشيف

1-**La Vie Munisipale** N: 58 Archive De Wilaya D.Oran 1958

2Habitat Eturbanisme ; N35 Archive De Wilaya D.Oran 1953

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المؤطر بكاي سمير الذي قبـــــل أن يُشرف على هذا العـــــــمل، أشكـــــره على توجيـــــهاته القيـــمة و رحـــابة صدره و مواقـــــــفه النبـــــيلة.

كمـــــا نتقدم بالشـــــــكر أيضا إلى أساتذة لجنة المنـــــــــــاقشة التي أتشرف بتقـــــــييمها لهذا العمل، وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل المتواضع.

إهــداء

إلـــى والـــــــدي العزيـــزين اللـــذان منحـــاني الدعـــــم والإلهـــام لإتمـــــام هـــذا العمـــل، و علمـــاني أن الوجـــودَ علـــمٌ وعمـــلٌ وتواضـــع، إلـــى إخـــوتي وأخـــــواتي، إلـــــى إبنـــــــــة الخـــــال أحـــــــــــلام وأيضـــــا إلـــــى ريـــــــــــان، وكل الزميلات والزملاء.

اهداء

اهدي هذا هذا العمل الى:

كل افراد العائلة

كل الاصدقاء و الزملاء

كل من ساعدني في انجاز هذا العمل

الفهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	كلمة شكر و تقدير	
	إهـــــــــــــداء	
	مقدمة عامة	
الفصل التمهيدي:الاقتراب النظري و المنهجي		
أولا:الإقتراب النظري		
	اسباب اختيار الموضوع	
	اهداف الدراسة	
	طرح اشكالية الدراسة	
	فرضيات الدراسة	
ثانيا: الإقتراب المنهجي		
	منهجية الدراسة	
	مجتمع البحث	
	المفاهيم الاجرائية	
	الدراسات السابقة	
	المقاربات المعتمدة في الدراسة	
الفصل الأول: العمارة الفرنسية		
المبحث الأول: العمارة الكولونيالية في الجزائر		
	تمهيد	
المبحث الثاني :العمارة الكولونيالية في وهران		
	خلاصة	
الفصل الثاني :الدارسة الميدانية		
	مقدمة	
	المبحث الأول:الدراسة المنوغرافية للحي	
	المبحث الثاني: القراءة الكيفية للمقابلات	
	خاتمة	
	نتائج الدراسة	
	قائمة المراجع	
	الملاحق	